



جمادي الاول ١٤٣٧ هـ-شباط/مارس ٢٠١٦م - السنة التاسعة

السلام عليك أيتها المظلومة المغصوبة ، السلام عليك أيتها المضطهدة المقهورة

بسم الله الرحمن الرحيم



إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩ - بدالة: ٣٢١٧٧٦ - داخلي: ٢٤٢

موقع العتبة www.imamhussain.org

موقع القسم www.imamhussain-lib.org

بريد القسم info@imamhussain-lib.org

٤-فاطمة (عليها السلام) وعلاقتها....

١٠- بنور فاطمة اهتديت



٦- نحن حجج الله وأمنا فاطمة حجّة الله علينا



١٨-الغيبة الصغرى للإمام...



١٦-مَنْ أبغض فاطمة أبغض الله



٢٢- الطبقات الاجتماعية في نهج البلاغة

٣٨-مع شيخ البطحاء



٤٦- إبراهيم بن مالك بن الحارث الأشتر النخعي



٥٣-طاعتنا نظاماً للملة وإمامتنا أماناً من الفرقة



فاطمة ميزان الحق

وردت الأحاديث في حق سيدة النساء صلوات الله عليها وكلها تشير الى أنها ميزان للحق، ولكي نقف على صحة هذا المدعى دعونا نستعرض هذه الأحاديث:

أولاً: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فاطمة بضعة مني من سرها فقد سرني، ومن ساءها فقد ساءني، فاطمة أعز الناس عليّ.

يشير هذا الحديث الى أن فاطمة صلوات الله عليها باب للدخول الى مرضاة الله تعالى لأن سرورها هو سرور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإساءة إليها إساءة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن سرها سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي أن الله تعالى راضٍ عمن أدخل السرور على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فسرورها سرور الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإساءة إليها إساءة إليه، وعلى هذا يترتب رضا الله تعالى وغضبه.

ثانياً: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها).

يشير هذا الحديث الى ما يلي:

أ . إنّ من أغضب فاطمة فقد أغضب الله تعالى، ومن أرضا فاطمة فقد أرضى الله تعالى، فصار رضا فاطمة طريقاً لرضا الله تعالى ومن عمل على رضاها فقد سلك طريق الحق، ومن عمل على إغضابها فقد سلك طريق الباطل.

ب . كل من أسهم بغصب حق بعلها وحقها فهو باطل مغضوب عليه من قبل الله تعالى.

ج . كل من دافع عنها وعن حق بعلها فهو حق مرضيّ عنه من قبل الله تعالى.

يلاحظ مما تقدم أنّ فاطمة صلوات الله عليها تشارك بعلها أمير المؤمنين عليه السلام في كونها صاحبة هذه الصفة أيضاً بأنها ميزان الحق كما كان أمير المؤمنين عليه السلام ميزان الأعمال.

ويلاحظ أيضاً مما تقدم أن المباني العقائدية في الخلافة لابد أن توزن بميزان فاطمة فما وافق رضاها فهو حق وما خالف رضاها فهو باطل محض.

المشرف العام



فاطمة (عليها السلام) وعلاقتها بالحسين (عليه السلام)



حب فاطمة عليها السلام لولدها الحسين عليه السلام

روي أنه دخل الحسن والحسين عليهما السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فشم الحسن في فمه الشريف وشم الحسين في نحره فقام الحسين وأقبل إلى أمه فقال لها: أماه شمي فمي هل تجدين فيه رائحة يكرهها جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشمته في فمه فإذا هو أطيب من المسك ثم جاءت به إلى أبيها فقالت له: أبه لم كسرت قلب ولدي الحسين فقال صلى الله عليه وآله وسلم مم؟ قالت: تشم أخاه في فمه وتشمه في نحره فلما سمع بكى وقال: بنيه أما ولدي الحسن فإني شممته في فمه لأنه يسقى السم فيموت مسموماً وأما الحسين عليه السلام فإني شممته في نحره لأنه يذبح من الوريد إلى الوريد فلما سمعت فاطمة بكت بكاءً شديداً وقالت: أبه متى يكون ذلك؟ فقال: بنية في زمان خالٍ مني ومنك ومن أبيه وأخيه فاشتد بكاؤها ثم قالت: أبه فمن يبكي عليه ومن يلتزم بإقامة العزاء عليه؟ فقال لها: بنية فاطمة إن نساء أمتي يبكين على نساء أهل بيتي ورجالهم يبكون على ولدي الحسين وأهل بيته ويجددون عليه العزاء جيلاً بعد جيل فإذا كان يوم القيامة أنت تشفعين للنساء وأنا أشفع للرجال وكل من يبكي على ولدي الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنة. (اكسير العبادات: في أسرار الشهادات)

الحسين عليه السلام وحجر فاطمة عليها السلام

اعتنت سيدة النساء عليها السلام بتربية وليدها الحسين فغمرته بالحنان والعطف لتكون له بذلك شخصيته الاستقلالية والشعور بذاتياته كما غذته بالآداب الإسلامية، وعودته على الاستقامة والاتجاه المطلق نحو الخير والصلاح، كيف لا، وهي ربيبة الوحي وسليلة التقوى فهي أم أبيها، وزوجة أمير المؤمنين.

هكذا هي الأم فهي شمعة مقدسة تضيء ليل الحياة بتواضع ورقة وفائدة، فهي التي تصنع الحياة وهي الكنز الحقيقي الذي لا اضمحلال له، وكما قيل: مدرستي الأولى على صدر أمي، وإني مدين بكل ما وصلت إليه وما أرجو أن أصل إليه من الرفعة إلى أمي الملاك فالأم التي تهز السرير بيمينها تهز العالم بيسارها، وهكذا كانت الزهراء الأم المثالية التي تربى في حجرها الحسين عليه السلام وغذته بالأخلاق الحميدة والخصال الرفيعة.

يقول العلائلي: (والذي انتهى إلينا من مجموعة أخبار الحسين أن أمه عنيت ببث المثل الإسلامية الاعتقادية لتشيع في نفسه فكرة الفضيلة على أتم معانيها، وأصح أوضاعها ولا بدع فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشرف على توجيهه أيضاً في هذا الدور الذي يشعر الطفل فيه بالاستقلال، فالسيدة فاطمة نمت في نفسها فكرة الخير، والحب المطلق

والواجب ومددت في جوانحه وخوالجه أفكار الفضائل العليا بأن وجهت المبادئ الأدبية في طبيعته الوليدة، من أن تكون هي نقطة دائرتها إلى الله الذي هو فكرة يشترك فيها الجميع، وبذلك يكون الطفل قد رسم بنفسه دائرة محدودة قصيرة حين أدار هذه المبادئ الأدبية على شخص والدته وقصرها عليها وما تجاوز بها إلى سواها من الكوائن، ورسمت له والدته دائرة غير متناهية حين جعلت فكرة الله نقطة الارتكاز، ثم أدارت المبادئ الأدبية والفضائل عليها فاتسعت نفسه لتشمل وتستغرق العالم بعواطفها المهذبة، وتأخذه بالمثل الأعلى للخير والجمال...). (الإمام الحسين:٢٨٩)

لقد نشأ الحسين عليه السلام في تلك الأسرة الطبيعية الأعراف الطاهرة من الأدناس وفي حجر سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وقد صار بهذه التربية المثل الأعلى للأجيال حيث رسم الشهادة في جبين الإسلام كتضحية من أجل الأهداف التربوية التي تغذاها من حجر أمه ومن ضمير جده ورعاية أبيه المرتضى، أجل إنه الحسين الكبير ذلك الفذ من الأفذاذ الذي علموا البشرية وعلموا الأجيال كل طرق الخير والصلاح لا خير في أن يقول غاندي محرر الهند تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوما فأنتصر.

فاطمة عليها السلام يوم القيامة

للصديقة فاطمة عليها السلام يوم القيامة مواقف عديدة تقف فيها ضد قتلة الحسين عليه السلام وأنصارهم، فمنها عندما تأتي يوم القيامة وتقف في عرصات المحشر، فيأتيها الخطاب من الباري عز وجل... يا فاطمة: سلي حاجتك، فتقول... يا رب أرني الحسين.. فيأتيها الحسين عليه السلام وأوداجه تشخب دماً، وهو يقول: يا رب، خذ لي اليوم حقي ممن ظلمني، عند ذلك تقف سلام الله عليها موقفاً شريفاً من مواقف يوم القيامة، ثم تنزل عن نجيبها فتأخذ قميص الحسين عليه السلام بيدها ملطخاً بدمه:

لا بد أن ترد القيامة فاطم
وقميصها بدم الحسين ملطخ
ويل لمن شفعاؤه خصماؤه
والصور في يوم القيامة ينفخ

وتقول يا رب، هذا قميص ولدي، وقد علمت ما صنع به، يا عدل، احكم بيني وبين قاتل ولدي... أنت الجبار العدل اقضي بيني وبين من قتل ولدي... فيغضب عند ذلك الجليل، وتغضب لغضبه جهنم والملائكة أجمعون... فيأتيها النداء من قبل الله عز وجل: يا فاطمة! لك عندي الرضا فتقول يا رب انتصر لي من قاتله، فيأمر الله تعالى عنقاً من النار فتخرج من جهنم، فتلتقط من جهنم قتلة الحسين بن علي عليهما السلام كما يلتقط الطير الجيد من الحب الرديء، ثم يعود العنق بهم إلى النار فيعذبون فيها بأنواع العذاب.

ولها مواقف أُخر مع أنصار الحسين وأصحابه وشيعته وفيمن بكى عليه في الدنيا وأقام العزاء لمصابه الجليل حيث ورد في الأخبار الشريفة، أنها تأتي يوم القيامة، فتقول يا رب حاجتي أن تغفر لي، ولمن نصر ولدي الحسين عليه السلام؛ اللهم اشفعني فيمن بكى على مصيبته... إلهي أنت المنى وفوق المنى، أسألك أن لا تعذب محبي ومحب عترتي بالنار... إلهي وسيدي سميتني فاطمة وفطمت بي من تولاني وذريتي من النار ووعدك الحق وأنت لا تخلف الميعاد... فيأتيها الخطاب... يا فاطمة قد غفرت لشيعتك... وشيعة ولدك الحسين... يا فاطمة وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لقد آليت على نفسي من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفي عام أن لا أعذب محبيك ومحبي عترتك بالنار... فعند ذلك يود الخلائق أنهم كانوا فاطميين، فتسير فاطمة ومعها شيعتها، وشيعة ولدها الحسين عليه السلام وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام آمنة روعاتهم، مستورة عوراتهم، قد ذهبت عنهم الشدائد، وسهلت لهم الموارد، يخاف الناس وهم لا يخافون، ويظمأ الناس وهم لا يظمأون... عند ذلك تصر فاطمة عليها السلام وتسير إلى الجنة... فتكون أول من تكسى ويستقبلها من الفردوس، اثنا عشر ألف حوراء لم يستقبلن أحداً قبلها ولا أحداً بعدها على نجائب من ياقوتة أجنحتها وأزمتها اللؤلؤ عليها، حائل من در... فيجوزون بها الصراط حتى ينتهون بها إلى الفردوس... فيباشر بها أهل الجنان... فتجلس على كرسي من نور ويجلس حولها، ويبعث إليها ملك لم يبعث إلى أحد بعد فتقول: قد أتم علي نعمته، وهنأني كرامته، وأباحني جنته، أسأله ولدي وذريتي ومن ودهم بعدي، وحفظهم من بعدي، فيوحي الله إلى الملك من غير أن يزول من مكانه: أن سرها وبشرها أني قد شفعتها في ولدها ومن ودهم بعدها وحفظهم فيها... فتقول عليها السلام: الحمد لله الذي أذهب عني الحزن وأقر عيني ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾. (الطور:٢١)

بقلم: الشيخ محمد فاضل المسعودي

نحن حجج الله وأمُّنا فاطمة حجّة الله علينا

لا زال الحديث حول سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام بأنّها سرّ الوجود، وبناءً على أنّ الإمام الحجّة عجّل الله فرجه الشريف هو سرّ الوجود أيضاً، تكون فاطمة الزهراء عليها السلام سرّ السرّ، لأنّ الحجّة عليه السلام، هو قطب الأرض، ولولاه لساخت بأهلها وبالموجودات التي على ظهرها، ولولاه لانعدمت البركات، ولولاه لما ثبتت الأرض والسماء، وبيُمنه رزق الورى، فهو إذن سرّ الموجودات، وسرّ الله تعالى في الكائنات

وقد عبّرنا بسرّ الله تعالى، لأنّ الوجود الحقيقي التامّ الأتمّ هو الحقّ سبحانه، فيكون الإمام الحجّة عليه السلام سرّ الله تعالى في كائناته.

ففي معرفة منزلة ومقام فاطمة الزهراء عليها السلام يقول ولدها الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «نحن حجج الله وأُمّنا فاطمة حجّة الله علينا».

وبهذا نعرف أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام سرّ السرّ للموجودات، وهذا هو معنى ما ورد في الحديث الشريف: «ولولا فاطمة لما خلقتكما».



كيف نعرف سرَ السرَ للموجودات

عندما نتحدّث عن معرفة فاطمة الزهراء عليها السلام، وما يترتب على هذه المعرفة من وظيفة شرعية وسلوك أخلاقي وعقيدة قلبية؛ يتم الاعتقاد بمقام فاطمة من خلال ما عرفناه عنها، فإذن لا بدّ من العمل على أساس هذه العقيدة الراسخة في القلب.

إنّ الله تعالى كلّفنا بالاعتقاد والعمل معاً في أُصول الدين وفروعه، وعند الوقوف على هذه الفروع العشرة التي هي: الصلاة والصوم والزكاة والخمس والحجّ والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتولّي والتبرّي، نلاحظ أنّ كلّ فرع من هذه الفروع لو أردنا العمل به فسيكون على نحوين:

أولاً: عمل جوارحي

أي ما يتعلّق بالجوارح التي هي اليد والرجل والعين والأُذن وغير ذلك، فاليد تعمل والرجل تسعى وهكذا.

ثانياً: العمل الجوانحي

أي العمل الباطني كـ(النيّة) الذي ورد في قول الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نيّة المؤمن خيرٌ من عمله ونيّة الكافر شرّ من عمله، وكلّ عامل يعمل على نيّته». (أُصول الكافي:٢/٨٩).

هذه من أعمال القلب وكالحبّ لله ولرسوله ولأهل البيت وفاطمة الزهراء عليهم السلام فهو أيضاً عمل جوانحي،

وكذلك التولّي والتبرّي من أعمال القلب وتسمّى هذه الأعمال بالأعمال الجوانحيّة.

معنى التولي لغة

معنى التولي لغة: هو الاتباع بدون فاصلة بين الوليّ والمتولّى، فمثلاً عندما يركب شخص خلف آخر على فرس فيقال مثلاً: زيد ولي عمر، فيما إذا كان زيد خلف عمر ولم يكن بينهما فاصلة.

معنى التولي اصطلاحاً

وأمّا معناه اصطلاحاً: هو أن يتولّى الإنسان ربّه تعالى فيكون تابعاً لربّه سبحانه وهو أقرب إليكم من حبل الوريد، أي لا فاصلة بينه وبين أوليائه، فلذلك جاءت الآيات الكريمة تبيّن هذا المعنى كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾. (الحديد:٤)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾. (الأنعام:١٢٧)، وقوله تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. (البقرة:٢٥٧)

فهذه الآيات صريحة في بيان مدى العلاقة بين المؤمن وربّه تعالى، فالمؤمن قريب من ربّه تعالى والله سبحانه أقرب من ذلك، ثمّ يتولّى المؤمن رسول الله صلى الله عليه وآله ويتولّى وصيّه ويتولّى أولياء الله تعالى، فبهذا الولاء يحبّ الله ورسوله وأولياءه، ولازم هذا الحبّ الإطاعة، فنجد الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. (النساء:٥٩)

فهناك تأكيد لازم وتبيين للمصاديق التي وجبت لنا طاعتها، ثمّ بعد ذلك تأتي آية أُخرى تحصر الولاء والحبّ والإطاعة بنفس المصاديق التي بيّنتها الآية السابقة، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. (المائدة:٥٥)

فإنّ الآية حصرت الطاعة لله ولرسوله ولعليّ أمير المؤمنين لأنّه هو الذي أعطى الزكاة إلى ذلك الفقير في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في حالة الركوع فأشار بإصبعه إليه – في قصّة مفصّلة، وقد حدث هذا لكلّ الأئمة، والآية تعمّ جميع الأئمة الاثني عشر كما هو ثابت عندنا – وهذا متّفق عليه في كتب التفسير عند الفريقين.

فلازم الولاية هو الحبّ، ولازم الحبّ هو الإطاعة؛ وهذا كلّه عمل قلبي جوانحي، ولكن هذا العمل الجوانحي يستلزم إظهاره بواسطة الجوارح، فمن كان محبّاً لأمير المؤمنين عليه السلام سيكون مطيعاً له، وهذا ما أكّده الإمام الصادق عليه السلام: «عجبت لمن يدّعي حبّ الله كيف يعصي الله»، فإنّ المحبّ لمن أحبّ مطيع، وعلى هذا يكون التولّي عمل قلبي، وبما أنّ القلب هو سلطان البدن فبصلاحه تصلح الجوارح وبفساده تفسد، وهذا مشابه للملك والرعيّة، فإذا صلح الملك صلحت الرعيّة لأنّ الناس على دين ملوكها، فإذا كان القلب يتولّى الله ورسوله وأولياءه فيحبّهم فيطيعهم فيمتثل البدن للقلب، ويظهر الطاعة على قدر طاعة القلب وحبّه وانقياده.

توظيف التبري في حياة الإنسان

وأمّا التبرّي الذي هو الجناح الثاني في السير والسلوك إلى الله تعالى، ولكي يصل الإنسان إلى ربّه تعالى لا بدّ له من جناحين، أوّلهما التولّي وثانيهما التبرّي.

فالتولّي لله ولرسله ولكتبه ولأوليائه، والتبرّي من أعداء الله ورسوله وأوليائه ومن أعداء فاطمة الزهراء عليها السلام.

فالذي يعرف فاطمة بأنّها سرّ الوجود لا بدّ له أن يتولّاها ويتبرّأ من أعدائها وممّن ظلمها، وممّن ضربها وأسقط جنينها .

ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كذب من زعم أنّه يحبّني ويحبّ عدوّي»، وهذا القول الذي صدر من الإمام المعصوم موافقاً لقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾. (الأحزاب:٤)

فالعجب كل العجب ممّن يدّعي حبّ عليّ عليه السلام وحبّ

عدوّه معاً، والعجب ممّن يقول إنّ الرجوع إلى أمير المؤمنين عليه السلام وإلى عدوّه هو الرجوع إلى الإسلام، هذا كلام ما أنزل الله تعالى به من سلطان وهو خلاف المنطق، كيف يكونا على طرفي نقيض والرجوع إليهما رجوع إلى الإسلام.

التولّي والتبرّي عملان قلبيّان، فالأوّل حبّ باطني، والثاني بغض باطني، والأوّل هو حبّ لله ولرسوله ولأمير المؤمنين عليه السلام، والثاني بغض لعدوّ الله وعدوّ رسوله وعدوّ أمير المؤمنين عليه السلام.

فلا يجتمع في قلب واحد حبّ الطيبة وحبّ الخبث، وحبّ الله تعالى وحبّ عدوّه، لأنّهما نقيضان، إن طاب قلبك بحبّ أمير المؤمنين عليه السلام فإنّه يخبث بحبّ عدوّه، وهذا القلب لا يمكن له أن يكون طيّباً وخبيثاً في آن واحد.

فلهذا نجد التركيز في الشريعة الإسلامية على التولّي والتبرّي، ولا يمكن أن يدّعي أحد التولّي دون أن يبغض عدوّ من يتولّى، لأنّه لو كان يمكن ذلك لصحّ أن نتصالح مع الشيطان ونحبّه، وبما أنّ للشيطان أولياء فلنحبّ أولياءه فيجتمع في قلبنا حبّ أولياء الله وأولياء الشيطان.



ولكن هذا مستحيل لأنّ الشيطان وأولياءه أعداء أولياء الله تعالى منذ اليوم الأوّل، ومنذ بدء الخليفة، فالشيطان عدوّ لله تعالى لأنّه تكبّر على آدم وعصى أمر الله تعالى، فآدم الذي عكس الصفات الإلهيّة والأسماء الحسنى ظهر له عدوّه من لحظة وجوده.

فحبّ الجميع وعدم كراهية أحد من الناس هذه مقولة شيطانية، لأنّ من الناس من هم أولياء للشيطان، بل هم من شياطين الإنس، وهذه المقولة تسرّ الشيطان وتفرح حزبه، وهذه المقولة تعمل على تخريب عقائد البسطاء من الناس، وهذه المقولة من تزيين الشيطان.

فتراهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً وهم لا يعلمون بأنّ هذا خلاف قول أمير المؤمنين عليه السلام الذي قاله في حقّ الأصدقاء والأعداء فقال عليه السلام: «الأصدقاء ثلاثة: صديقي وصديق صديقي وعدوّ عدوّي، والأعداء ثلاثة: عدوّي وعدوّ صديقي وصديق عدوّي». (نهج البلاغة)

فصديق عدوّي يعاديني لأنّه صديق العدوّ، وعدوّ صديقي يعاديني لما بيني وبين عدوّه من صداقة وهذه مسألة وجدانية فطرية حسّية، وهذا قول أمير المؤمنين عليه السلام وهو القول الحقّ لأنّ علياً هو الحقّ والحقّ مع عليّ يدور الحقّ حيثما يدور علي، وهذا لا يمكن إنكاره.

فإذا كان الحقّ مع عليّ فهو قسيم الجنّة والنار، وهو سفينة النجاة، وهو الذي يقول للنار هذا عدوّي فخذيه وهذا وليّي فدعيه، فإذن الذي ينجو بولاية عليّ عليه السلام ثلاث طوائف:

أولاهم: صديق عليّ عليه السلام أي الذي يصدق مع عليّ عليه السلام في كلّ شيء كسلمان المحمّدي رضوان الله عليه الذي قيل في حقّه: «سلمان منّا أهل البيت»، فلقد كان صديقاً لأمير المؤمنين، بل هو تالي تلو أمير المؤمنين عليه السلام.

قيل عندما أراد الأصحاب أن يدخلوا المسجد ويسبقون سلمان بالحضور إلى جوار عليّ عليه السلام فلم يتوفّقوا لذلك، إلاّ أنّهم في يوم ما نظروا إلى الطريق فلم يروا إلاّ آثار أقدام عليّ عليه السلام ففرحوا بذلك وعندما ذهبوا مسرعين وجدوا سلمان عنده فاندهشوا من ذلك وسألوه: من أين أتيت يا سلمان؟ هل نزلت من السماء أم خرجت من الأرض؟ فأجابهم سلمان بكلّ هدوء: إنّي أتيت من نفس الطريق الذي جاء به أمير المؤمنين عليه السلام وكنت أضع قدمي على موضع قدم أمير المؤمنين عليه السلام لأنّني أعلم أنّه لا يرفع قدماً ولا يضعها إلاّ بحكمة وعلم، فإنّه يرى أنّ خطوات أمير المؤمنين صادقة حتّى في مثل هذا الموقف، فلذلك صار من أهل البيت ومن أهل النجاة.

وأمّا الطائفة الثانية: هي (صديق صديقي)، أي من كان صديقاً لسلمان ومن يحذو حذوه، النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، فعندها سيكون محبّاً لأمير المؤمنين عليه السلام ويكون شيعياً خالصاً مخلصاً، فلو نظرنا إلى الروايات التي تتحدّث عن صفات الشيعي نجد تقصيراً واضحاً لدينا، لأنّ من صفات الشيعة أنّهم خمص البطون من الجوع، عمش العيون من البكاء، صفر الوجوه من السهر، ومن صفات محبّي أهل البيت عليهم السلام حبّ العلم والعمل الصالح وبغض الدنيا والسخاء،

فهي من صفات المتّقين الذين إمامهم عليّ عليه السلام، وهذه صفات الطائفة الثانية فأين نحن من هذه الصفات وهل فينا منها؟ فإذن لا يبقى لدينا إلاّ أن ننتسب إلى الطائفة الثالثة وهي طائفة عدوّ عدوّي هذه لنا ونستطيع أن ندّعي أنّنا أعداء لعدوّ أمير المؤمنين عليه السلام ونطالبه بذلك في يوم القيامة، لاسيّما إنّنا كثيراً ما نقول في زيارة عاشوراء «اللهمّ ألعن أوّل ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمّد وآخر تابع له على ذلك».

فهذه براءة معلنة من أعداء آل محمّد صلى الله عليه وآله نتقرّب بها إلى الله تعالى، فنأمل النجاة بهذه الرتبة، ولكن هناك من ينجو بالولاية إذا كان من أهلها، وينجو بالطاعة إذا كان من أهل العبادات، أمّا من لم يكن مثل سلمان ولا مثل صديق سلمان ومحبّه فكيف يمكن له أن ينجو يوم القيامة؟ فله طريقة واحدة ليس إلاّ التبرّي من أعداء أمير المؤمنين عليه السلام.

فهناك أقلام مأجورة وألسن مرتزقة يجب أن لا نستمع إليها وهي التي تحاول أن تلمّع شخصيات صدأت، بل هي ليست بشيء منذ اليوم الأوّل للإسلام، وما هي إلاّ شياطين الإنس التي عادت أمير المؤمنين عليه السلام وعادت الزهراء وأولادهم عليهم السلام، فكيف لهذه الأقلام الهزيلة تحاول أن تظهر عدوّ أهل البيت بأنّه خدم الإسلام؟

فعلينا أن لا ننجرّ وراء أفكار سقيمة، ونفوس جشعة، وعقول سطحية لا تتعمّق في علوم أهل البيت عليهم السلام.

وعلينا التمسك بالولاية لأهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم، ويجب أن نظهر مظاهر هذه الولاية، وهذا الحبّ، وأن نعظّم الشعائر الحسينية بالأخص، فإنّها من مظاهر الولاية والبراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام.

ويجب الالتزام بشعار الولاية الذي هو الصلاة على محمّد وآل محمّد، فإنّ الصلاة عليهم دعاء لهم ليرفع الله تعالى درجاتهم، كما ورد في الزيارة الجامعة «وصلواتنا عليكم، طهارة لأنفسنا وكفّارة لذنوبنا».(مفاتيح الجنان:زيارة الجامعة الكبرى)

وأن نتمسك بشعار البراءة من أعداء أهل البيت الذي هو (لعن أعداء أهل البيت عليهم السلام) وأعداء فاطمة الزهراء عليها السلام.

وهذا اللعن أيضاً دعاء ولكنّه على أعداء أهل البيت عليهم السلام لأنّ معنى اللهمّ العن فلاناً أي أبعده عن رحمتك، لأنّه لا يستحقّ الرحمة الإلهية، ولهذا نجد في كلّ زيارة بجانب السلام والتحيّة لهم عليهم السلام لعناً لأعدائهم وأحياناً يقدّم اللعن على السلام، لأنّه بغض، والبغض تخلية، والحبّ تحلية، والتخلية تقدّم على التحلية.

فعندما نتكلّم عن عظمة الزهراء عليها السلام وعن مظلوميّتها، هو لأنّ رضا فاطمة رضا الله وغضبها غضب الله؛ وهذا ما ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «من أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أرضاني فقد أرضى الله، ومن أغضب فاطمة فقد أغضبني، ومن أغضبني فقد أغضب الله».(صحيح البخاري:٤/باب مناقب فاطمة عليها السلام)

وقيل في بعض كتب التاريخ والسير والحديث (إنّ فاطمة ماتت وهي واجدة على - أبي بكر وعمر - فلان وفلان»، يعني ماتت سلام الله عليها وهي غاضبة عليهما، فإذن حلّ عليهما غضب الله تعالى، ومن حلّ عليه غضب الله تعالى فهو ملعون بصريح القرآن، ويلعنه الله ويلعنه اللاعنون، لأنّه آذى الله ورسوله وأمير المؤمنين عليه السلام.

فالذي يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله في نفسه أو في علي عليه السلام وهو كنفس رسول الله أو يؤذي فاطمة عليها السلام التي هي روح النبي لأنّها روحه التي بين جنبيه كما ورد في الحديث أو في أهل بيته، فإنّه ظالم ومتجاسر ومعتد فيستحقّ اللعن بصريح القرآن الذي يقول: ﴿ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾.(هود:١٨)

ثمّ صرّحت الآية القرآنية الكريمة بلعن من آذى الله ورسوله فقالت: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾.(الأحزاب:٥٧)

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.(التوبة:٦١)

فهذا هو الحقّ، وعلينا معرفة الحقّ لكي نعرف أهله، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «اعرف الحقّ تعرف أهله»، ولا يُعرف الحقّ بالرجال، بل يُعرف الرجال بالحقّ، فلا تبهر بفلان وفلان، اعرف الحقّ وانظر إلى الحقّ وانظر إلى ما قال لا إلى مَن قال.

ثمّ التبرّي موجود عند كلّ المسلمين، إلاّ أنّهم اختلفوا في المصاديق، لأنّ الأمر اشتبه عليهم، ولو عرفوا الحقّ لاتّبعوه، إلاّ من كان في قلبه مرض فزادهم الله مرضاً.

بقلم: السيد عادل العلوي



بنـــور فاطمة اهتديت

المستبصر السوداني السيد عبد المنعم حسن

كلمـات كالسـهم نفـذت إلى أعماقـي. فتحـت جرحاً لا أظنه يندمل بسـهولة ويسـر ، غالبـت دموعي وحاولت منعهـا من الانحدار ما اسـتطعت!.

ولكنهـا انهمـرت وكأنهـا تصـر علـى أن تغسـل عـار التاريـخ في قلبي ، فكان التصميـم للرحيل عبر محطات التاريخ للتعرف على مأسـاة الأمة وتلك كانت هي البداية لتحديـد هويـة السـير والانتقال عـبر فضـاء المعتقدات والتاريخ والميل مـع الدليل.

كان ذلـك في الـدار التي يقيم فيها ابن عمي الشـيعي! جئـت لتحيته والتحدث معه عـن أمور عامة ... لحظة ثم لفـت انتباهـي صوت خطيـب ينبعث من جهاز التسـجيل قائـلاً « وهذه الخطبة وردت في مصادر السـنة والشـيعة وقـد ألقتها فاطمـة الزهراء لتثبيت حقهـا في فدك ، ثم بدأ الخطيـب في إلقاء الخطبة.

إلى حـين اسـتماعي لهـذا الشـريط لم أكـن علـى اسـتعداد للخوض في قضايا خلافيـة مذهبية. قد عرفنا أن الأخ - ابـن عمـي - شـيعي وسـألنا الله أن يهديه ، وكنا نتحاشـى الدخول معه في نقاش بقدر اسـتطاعتنا. ولكن أبـى الله سـبحانه وتعـالى إلا أن يقيـم علينا حجته.

بصـوت هادئ جميـل بدأ الخطيـب في الخطبة وتدفق شـعاع كلماتهـا إلى أعمـاق وجـداني ، وضـح لي أن مثل هـذه الكلمات لا تخرج من شـخص عادي حتـى ولو كان عالـماً مفوهاً درس آلاف السـنين ، بل هـي في حد ذاتها معجـزة. كلمات بليغـة .. عبارات رصينـة ، حجج دامغة وتعبـير قـوي .. تركـت نفسـي لهـا واسـتمعت إليها بكل كيـاني وعندما بلغت خطبتها الكلمات التي بدأت بها هذا الفصل لم أتمالك نفسـي وزاد انهمـار دموعي. وتعجبت من هـذه الكلمات القويـة الموجهة إلى خليفة رسـول الله

صلى الله عليه وآله وسلم ومما زاد في حيرتي أنها من ابنة رسول الله فماذا حدث؟ ولماذا .. وكيف؟!! ومع من كان الحق وقبل كل هذا هل هذا الاختلاف حدث حقيقة؟ وفي الواقع لم أكن أعلم صدق هذه الخطبة ولكن اهتزت مشاعري حينها وقررت الخوض في غمار البحث بجدية مع أول دمعة نزلت من آماقي .. وفي هذا المنحى لا أريد أن أسمع من أحد ، فقط أريد خيط البداية أو بداية الخيط لأنطلق ، ولم تكن الخطبة مقصورة على ما ذكرته من فقرات بل هي طويلة جداً وفيها الكثير من الأمور التي تشحذ الهمة لمعرفة تفاصيل ما جرى وظروفه الموضوعية المحيطة به.

انتهى الشريط ، كفكفت دموعي محاولاً إخفاءها حتى لا يحس بها ابن عمي ، لا أدري لماذا؟ ربما اعتزازا بالنفس ، ولكن هول المفاجأة جعلني أنهمر عليه بمجموعة من الأسئلة وما أردت جوابا ، إنما هي محاولة للتنفيس وكان آخر أسئلتي إذا كان ما جاء في بعض مقاطع الخطبة صحيحا فهل كل ذلك من أجل فدك قطعة الأرض؟!أجابني : عليك أولاً أن تعرف من هي فاطمة ثم تبدأ البحث بنفسك حتى لا أفرض عليك قناعتي وأول مصدر تجد فيه بداية الخيط صحيح البخاري ، وناولني الكتاب فكانت المفاجأة التي لم أتوقعها.

ماذا بين الغاصب أبي بكر وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام؟

أخرج البخاري في صحيحه الجزء الخامس (ص٨٢) في كتاب المغازي باب غزوة خيبر قال : عن عروة عن عائشة أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من أبيها مما أفاء عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا نورث من تركناه صدقه إنما يأكل آل محمد من هذا المال ... إلى أن يقول البخاري فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته ولم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً وصلى عليها ولم يؤذن بها أبا بكر ».

وأورد مسلم في صحيحه ذات الواقعة مع تغيير طفيف في الألفاظ يقول « فغضبت فاطمة » بدل كلمة وجدت (١).

من هاتين الروايتين وغيرهما نستخلص الآتي :

أولاً : هذه الحادثة التي وقعت بين فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر حقيقة لا يمكن تكذيبها ولا الإعراض عنها لأنها مثبتة في متن أكثر الكتب صحة واعتماداً عند أهل السنة والجماعة بل في كل المصادر التاريخية والحديثية كما سيأتي بيانه لا حقا .

ثانياً : إن الحادثة لم تكن خلافاً عابراً أو سوء تفاهم بسيط بل هي مشكلة كبرى هذا ما نلمسه من كلمة « فوجدت فاطمة على أبي بكر » أو بتعبير مسلم « فغضبت فاطمة » فالغضب والوجد معناهما واحد ، محصلة أن فاطمة غضبت غضباً شديداً على أبي بكر .. على الرغم من قول الخليفة إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا نورث » ولكن فاطمة غضبت.

ثالثاً: إن غضب الزهراء كما أنه لم يكن قليلاً في حدته لم يكن قصيراً في مدته بل استمر حتى وفاتها كما يقول البخاري نقلاً عن عائشة « فهجرته ولم تكلمه حتى توفيت » وهذا معنى جلي في أن حالة الغضب والخلاف استمر إلى وفاتها بل إلى ما بعد ذلك إذ إنّ أبا بكر لم يصل عليها ودفنت ليلاً سراً بوصية منها كما سنبين.

رابعاً: غضب الزهراء عليها السلام لم يكن منصباً فقط على أبي بكر بل شمل الخليفة الثاني بدليل عدم ذكره ضمن المصلين عليها ، وسيتضح أثناء البحث أن موقف أبي بكر وعمر واحد يعني موقف الزهراء منهما وموقفهما منها ، يقول ابن قتيبة في تاريخه « دخل أبو بكر وعمر على فاطمة فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط .. إلى أن يقول فقالت : أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

تعرفانـه وتعملان بـه؟ قالا : نعـم فقالت نشـدتكما الله ألم تسـمعا رسـول الله صلـى الله عليه وآله وسـلم يقول : رضـا فاطمة من رضاي وسـخط فاطمة من سـخطي ، فمن أحـب فاطمة ابنتي فقـد أحبني ومـن أرضاها فقد أرضاني ومن أسـخطها فقد أسـخطني.

قـالا : نعـم سـمعناه مـن رسـول الله صلـى الله عليه وآلـه وسـلم قالـت : فـإني أشـهد الله وملائكتـه أنكمـا أسـخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبي صلى الله عليه وآله وسـلم لأشكونكما إليه ، ثم قالت : والله لأدعون عليكمـا في كل صـلاة أصليها » (١).

كل هـذه الحقائـق جعلت الدنيـا مظلمة لـدي .. وفور توصلـي إليهـا قفـز إلى ذهنـي ألف سـؤال وسـؤال .. لا أدري مـاذا أفعل وكيف أفكر وإلى من ألجأ؟!! إنها بضعة المصطفـى الصديقـة فاطمة ، أقرأ فإذا بها عاشـت بعد أبيهـا في حالـة غضـب إلى أن ماتـت ... كيـف ولمـاذا!! الطـرف الآخر الـذي غضبت عليه الزهـراء إنه الخليفة الأول .. الصديـق .. الخليـل لقـد كان يحب رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلم كما علمونا ـ أكثر من نفسـه .. فكيف يفعـل بالزهراء شـيئا يغضبها؟.

كيفمـا كانـت التسـاؤلات ومهمـا كان التبريـر هاهي فاطمـة عليهـا السـلام كمـا وجـدت بـين طيـات الكتب غاضبـة علـى الخليفتـين .. وبرغـم كل الحواجز قررت مواصلـة البحـث والتنقيـب علـى ألا أجعـل بـين نفسـي والحقائـق حجاب الخوف أو الرهبـة أو التبرير ومضيت في طريق ربما كان شـائكاً في بدايته ولكني بفضل بركات الصديقـة الطاهرة وصلت إلى شـاطئ اليقـين ، ومعها ـ روحـي فداها ـ كانـت البداية المفجعـة والنهاية الممزوجة بحـلاوة الإيمان وقمـة المعرفة.

حول الكاتب:

السـيد عبـد المنعم حسـن: ولد عـام ١٩٦٩م في قرية "مسـمار" الواقعـة شـرق السـودان، وترعـرع في أسـرة متواضعـة، تتعبّـد وفق المذهـب المالكي. كان أبـوه إماماً وشـيخاً للقرية ولـه مكانة خاصة عند سـكانها، لأنّه كان من المقرّبين والمسـاعدين لمرشـد الطريقـة الختمية التي تعتـبر من الطوائف الصوفية الكبرى في السـودان. يقول الأخ عبدالمنعـم: بدأت في بورتسـودان مرحلة جديدة من حياتـي بـين صخب المدينـة وأجوائها التـي تختلف تماماً عن القرية، درسـت المتوسـطة والثانويـة ولم يكن لي هم في هـذه الفترة سـوى إنهاء الدراسـة الجامعية والتخرج والانطـلاق في الحياة حتى أسـتطيع مسـاعدة إخوتي في





إعالة الأُسرة.

مضت السنوات سراعاً وأصبحت على أعتاب التخرج من الثانوية، امتحنت للشهادة فأحرزت نتيجة تؤهلني لدخول جامعة القاهرة بالخرطوم التي أصبحت فيما بعد جامعة النيلين، واخترت كلية الحقوق، كان اهتمامي الاجتماعي يفوق اهتمامي الأكاديمي ووجدت نفسي في هذا الجانب حيث تعرفت على الكثيرين واستفدت من التجارب.

بعد ذلك أصبحت رئيساً للاتحاد العام للطلاب السودانيين بالولاية الشمالية، وكنت سعيداً بذلك لعلي أخدم الطلاب وأقدم شيئاً يكون ذخراً لي في آخرتي، خصوصاً وأن أغلب الناس باتوا يعيشون في غفلة والساعة تقترب ولا ندري متى يدركنا الموت حينها لن تنفعنا تقوى آبائنا إلاّ بمقدار ما استفدنا مما قدّموه لنا من نصح وإرشاد وتربية قويمة".

استقرّ بي المقام في العاصمة "الخرطوم" لأبدأ الدراسة الجامعية.. وفي أحد أحيائها حيث اخترت أن أسكن مع أقربائي كان يسكن أحد أبناء عمومتي وحيداً يكافح في الحياة بين الدراسة والعمل... كان متديناً يعيش حياة سعيدة رغم أنه لا يملك شيئاً من الوسائل المادية للسعادة وربما يختصر طعامه في اليوم بوجبة واحدة.

أحياناً نبيت معه ليالي كاملة فنراه بالليل قائماً قانتاً يدعو الله ويتلو كتابه وفي الصباح يدعو الله بكلمات لم نسمع بها من قبل، كلمات يناجي بها ربنا عزّوجلّ هي بلا شك ليست لبشر عادي، لابد أنها من قول الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن عجباً لم نسمع بها من قبل، ولم نقرأها ضمن مناهجنا الدراسية ولا كتبنا الإسلامية.. فنضطر إلى سؤاله ما هذا الذي تقرؤه؟! فيجيبنا بأنه دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب(عليه السلام) فنوجم مبهوتين.

أحببناه لورعه وإذا به شيعي!

وانطلقنا معه في حوارات قوية باعتبارنا متمسكين بمذهب أهل السنة والجماعة أو لا أقل (ذلك ما عليه آباؤنا ونحن على آثارهم سائرون).

وكان النقاش يمتد لساعات طويلة وكانت حجته قوية بيّنة مدعّمة بالأدلة والبراهين العقلية والنقلية، ولم يعتمد على طول حواره معنا على كتاب أو مصدر شيعي مما يعملون به، بل كان يرشدنا إلى مصادر أهل السنة والجماعة لنجد صدق ادعائه

رغم أن حديثه وأدلته وبعض الكتب التي قرأناها كانت تحدث فينا هزة داخلية إلاّ أننا كنا نكابر ولا نظهر له من ذلك شيئاً... وعندما نجتمع بعيداً عنه كنا نأسف لحاله ونصفه بأنه مسكين! وأخيراً بنور فاطمة اهتديت..

المستشار القانوني
عبد المنعم حسن



آداب المجالس الحسينية

إنّ مجالس الحسين عليه السلام هي التي ممكن تحويلها من مجرّد مناسبة إحياء ذكرى إمام شهيد، إلى محطة من محطات التكامل والتي يحتاجها كل مؤمن في حركة حياته وهي أحد مرامي نهضة سيد الشهداء عليه السلام حيث يقول إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي.. فكما أنّ قوى الشرّ في عالم الوجود من: الشيطان، والنفس الأمّارة، وبطانة السوء؛ تسعى لصرف العبد عن طريق الطاعة لربّ العالمين.. فكذلك قوى الخير في عالم الوجود أيضاً تسعى لدفع العبد إلى عالم القُرب الإلهي والمتمثّل بـ:ربّ الوجود الذي خلق الخلق لكي يُعرف، وبالفطرة السليمة التي أودعها في طينة الخلق، والجماعة الصالحة التي عُبّر عنها في القرآن الكريم بالفتية الذين آمنوا، والأمّة الداعية إلى الخير، وخير أمة أخرجت للناس.

ومن هذا المنطلق، أحببنا التنويه على ملاحظات مهمة في هذا المجال، وذلك لأن عطاء هذا الموسم كعطاء الشمس، فهي واحدة في أصل العطاء، ومتعددة في آثارها الخارجية، بحسب القابليات، واختلاف درجات المستقبلين لهذا العطاء.

وإليكم بعض ما أنعم الله تعالى علينا من الملاحظات في هذا المجال.

الرصيد الفكري في الحركة الحسينية

إن كل حركة عبادية أو شعائرية تحتاج إلى رصيد فكري داعم لها أولاً، ومزوّد لحركتها ثانياً، وحافظ لها من كل انحراف ثالثاً.. وعليه لابدّ لتحقيق تلك الأهداف من استيعاب حقيقة الإمامة أولاً، ووظيفة الإمام ثانياً، وفلسفة النهضة الحسينية ثالثاً.. إذ إن باستيعاب هذه المعاني يصل الإنسان إلى درجة التفاعل الواعي، وإلا فإن البكاء على مظلوم من دون معرفة انتسابه إلى مصدر الوجود، لا يصبّ في تغيير مسيرة العبد وسوقه إلى عالم الكمال، فكم من المظلومين قُتلوا بغير حقّ من شتّى الملل.. فإن من لوازم حبّ المولى، حبّ أحبائه، والتألّم لما جرى عليهم، وهذه من لوازم الحبّ البديهية.

فلسفة الحركة الحسينية

إنّه لابدّ من استيعاب فلسفة الحركة الحسينية من بداياتها إلى نهاياتها، والمتمثّلة بتحقيق العبودية الشاملة لله ربّ العالمين.. فإنّ سيّد الشهداء كان كما ربّاه والده علي عليه السلام، لهِجاً بذكر الله تعالى، متيّماً بحبّه، وهو ما تجلّى منذ صغر سنه، إلى سنوات مرافقته لأبيه، إلى حكومة أخيه الحسن عليه السلام، إلى حركته من المدينة إلى كربلاء، إلى أن قضى نحبه في ميدان المعركة.. فكان همّ القُرب الإلهي هو الغالب على كلّ حركاته صلوات الله تعالى عليه، ومن هنا جعل ساعة مقتله ساعة المناجاة مع ربّ الأرباب، وحوّل موضع مقتله إلى محراب للعبادة، حيث لخّص فلسفة حياته ومماته بقوله: «إلهي رضاً بقضائك، وتسليماً لأمرك، لا معبود لي سواك!».

فعل كل من يدّعي الولاء الحسيني، أن ينظر إلى هذا الشعار الحسيني، ويرى مدى مطابقة حركته في الحياة لهذا الشعار المقدّس.

بركات المجالس

إنّ المجالس الحسينية وموسم عاشوراء بل محرّم بل شهري العزاء، بمثابة الرياح الموسمية الدافعة للسفينة إلى الأمام، فإذا كانت هنالك سفينة راسية غير مثقوبة الجوانب، وشراع مرفوع غير ممزّق الأطراف، فإن الرياح الموسمية تدفعها إلى الأمام.. ولكن إذا كانت السفينة فاقدة لما ذُكر، فإن الرياح قد تضرّها أكثر مما قد تفيدها! فعلى كل فرد منّا أن يجهّز سفينته قبل المواسم، لتأتي الرياح ببركاتها المعهودة.

ضمان نجاح الوصول إلى الأهداف

إنّ الالتفات إلى فقه الآفات ضروري جداً، لضمان نجاح الوصول إلى الأهداف المنشودة في الحياة.. ولا شكّ أنّ الحركة العاطفية مما يمكن أن تبتلى بالآفات أيضاً، فمن الآفات ترضية النفس بالحركة العاطفية - التي لا تستلزم كثيراً من العناء عند الإحساس بالتقصير - وبالتالي يتقاعس العبد عن الحركة التغييرية العملية، والتي تحتاج إلى شيء من المعاناة والمجاهدة.

ومنها اقتراب النفس من دائرة العجب، فإن الذي تمرّ عليه الحالات الروحية المتألّقة، قد يظن أنه وصل إلى دائرة القُرب من الحقّ المتعال، ووصل إلى نهايات المطاف، والحال أن المقياس الأول والأخير في هذا المجال، هو الرصيد العملي الذي له خلفية عاطفية، لا خلفية مجرّدة من كل رصيد!

فقدان المكاسب الروحية

من المشاكل التي يعاني منها كل الذين وفّقهم الله تعالى لإحياء ذكرى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، أنّهم يفقدون معظم المكاسب الروحية بعد الانتهاء من مجلس سيد الشهداء عليه السلام ومن موسم العزاء مباشرة في أغلب الأحيان، ولا ريب أنّ هذه خسارة كبرى، بأن يتراجع العبد عمّا كان عليه، والحال أنّ من تساوى يوماه فهو مغبون في فكر أهل البيت عليهم السلام.

والحلّ الأساس هو إيصال هذا الماء الرويّ إلى جذور النفس، لتندية التربة المحيطة بالشجرة، والحاصل في غالب الأوقات هو الثاني لا الأول.. أما كيف نوصل ماء التوحيد والولاية إلى أعماق النفس، فيحتاج إلى حديث مفصّل في محلّه، ولكن مجمله يتلخّص في أمرين: إزالة عوائق إيصال المدد في النفس بترك المعاصي والذنوب، والتعرّض للنفحات الإلهية؛ فإنّ الله تعالى يختصّ برحمته من يشاء، وهذه المشيئة ليست جزافية أبداً، فلها قواعدها التي تكتشف من خلال ممارسة الطاعة، والإستلهام من ربّ الأرباب.

حمل هموم الأمّة

من السمات البارزة في حركة الحسين عليه السلام هو حمله لهموم الأمة، وإلا فلو كان همّه الوحيد التقرّب الفردي إلى الله تعالى، فإن روضة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله كانت له نعم الصومعة، ليعكف على عبادة فردية إلى آخر عمره المبارك.

ومن المعلوم أنّ السلطة الحاكمة آنذاك لم تكن تتأثّر بهذه الحركة، بل قد تشجعه عليه، لتأمن من هذا الوجود الذي كان يمثّل قمة الامتداد لخط أهل البيت عليهم السلام.

ولكنه الحسين عليه السلام الذي لا يرى اثنينية بين



العبادة في الخلوات، والجهاد في الجلوات، وهو تربية علي عليه السلام، حيث يقول عن خاصة أولياء الله تعالى طالباً منه تحقيق هذه الأمنية: «فناجيته سرّاً، وعمل لك جهراً».

وعليه فإنّ من مصاديق التأسّي به، هو أن نحمل هموم الأمة في جوانحنا، بالإضافة إلى كل ما يتعلّق بالجانب التوحيدي من المحبة الإلهية.

ومن الممكن أن يتجلّى ذلك من خلال الدور الاجتماعي الفاعل في حركة حياة الأمة، ومن المعلوم أنّ هذا الدور يختلف من مرحلة إلى مرحلة، ومن فرد إلى فرد، ومن بيئة إلى بيئة.

والجامع لذلك كلّه هو أن يبحث الفرد بموضوعية ونزاهة عمّا يقرّبه إلى الله تعالى في خلقه، وهذا معنى السفر إلى الحقّ بالخلق في الخلق، وهي صورة موازية للسفر إلى الخلق بالحقّ ومع الحقّ.



مَنْ أبغض فاطمة أبغض اللّٰه

إن مقام سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام ومنزلتها عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله عظيمة جداً، حيث وردت الكثير من الآيات والروايات بإبراز فضلها ومنزلتها وتعظيم شأنها، وكذلك في محبتها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحب فاطمة فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض فاطمة فقد أبغضني ومن أبغضني أبغض الله».

فهنا إشارة صريحة بأنّ رضا فاطمة الزهراء عليها السلام له ارتباط مع رضا الله تعالى.

فهنا نستعرض الشيء الوجيز من الآيات والروايات في شأنها ومنزلتها وفضلها.

الآيات الواردة في فضلها وعظمتها

١. قوله تعالى: ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (الأحزاب:٣٣)

قال الحافظ: (قالت أم سلمه: لما نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وعلياً والحسن والحسين عليهم السلام، فجلّلهُمْ بكساء فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي» أخرجه الترمذي وغيره) .(فتح الباري لابن حجر: ٤٢٢/١٥)

وقال الآلوسي: (أخرج الترمذي والحاكم وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّه...﴾ وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام فجللهم رسول الله بكساء عليه ثم قال: «اللهّم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

وقال ابن تيمية: قد ثبت في الصحيح أنّه صلى الله عليه - وآله - وسلم)، أدار كساء على علي وفاطمة وحسن وحسين ثم قال «اللهم أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». (منهاج السنة:٣/٢)

فمن خلال قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفعله يُفهم أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام التي هي بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي ممن شملتهم آية التطهير.

إنّ فاطمة الزهراء عليها السلام هي الرحمة الإلهي وهي أمّ أبيها التي جاءت لنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي كفؤ أمير المؤمنين عليه السلام، فهي الحجة على حجج الله، كما قال الإمام العسكري عليه السلام: «نحن حجة الله وأمنّا فاطمة حجة الله علينا».(جواهر الكلام:٣٥٩/١٣)

٢. قوله تعالى: ﴿...قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾. (الشورى:٢٣)

فقد روى السيوطي في تفسير هذه الآية بالإسناد إلى ابن عباس قال: لمّا نزلت هذه الآية ﴿...قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ...﴾ قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين أوجبت علينا

مودتهـم؟ قال صلى الله عليه وآله: «علي وفاطمة وولداهما». (الدر المنثور:٦/٧)

وذكر نفس هذا المعنى البيضاوي في تفسيره حيث إنّه قال: روي أنها لمّا نزلت الآية ﴿ ...قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ... ﴾ قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم علينا قال صلى الله عليه وآله: «علي وفاطمة وابناهما». (تفسير البيضاوي ٢/٣٦٢)

فالمودة تأتي بمعنى (الموالاة) كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ... ﴾ (المجادلة:٢٢).

وتأتي بمعنى (المحبة): (على أن المستعمل في الآية هو المودّة دون التودّد، فالمراد بالمودّة حبهم لله في التقرب إليه...). (تفسير الميزان:١٨/٤٦)

وعليه فموالاة أهل البيت ومحبتهم عليهم السلام من الواجبات المفروضة على المسلمين، فضلاً عن محبة أمّهم فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين الذي جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم رضا الله من رضاها وغضبه من غضبها، وهذا خير دليل على أنّ حب فاطمة عليها السلام وبغض فاطمة عليها السلام هي من ضمن التشريعات الإلهية، لأن النبي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

فما هذه المنزلة الرفيعة والخصوصية التي جعل الله رضاه من رضا فاطمة عليها السلام، ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله سلم التي كان إذا بدأ بالسفر بدأ بها وإذا جاء من سفر أو غزوة أول ما يلتقي فاطمة عليها السلام.

فلما كان صلى الله عليه وآله يغتم أو يتأذى يأتي إلى فاطمة عليها السلام ليستريح ممن أكثروا في أذيته في أهل بيته.

٣. قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾. (آل عمران/٦١)

لم يختلف المسلمون أن هذه الآية من مختصات أهل البيت عليهم السلام فهي نزلت يوم مباهلة نصارى نجران وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يأخذ فاطمة وعلياً والحسن والحسين عليهم السلام.

فنلاحظ أنّ فاطمة عليها السلام هي التي مثّلت نساء الأمة بأجمعها، وما هذا إلاّ لعظم مقام الزهراء عليها السلام، عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

فالزهراء عليها السلام هي التي كانت تقوم مقام الزوجة، وكانت تقوم مقام الابنة وتقوم مقام الأم، فضلاً عن أنّها كانت حجّة الله على الأئمة عليهم السلام، حجّة الله على الحسن والحسين، وهي التي كانت الناصرة لأمير المؤمنين عليه السلام فضلاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كثير من المواطن.

إنّ فاطمة عليها السلام كانت تسعى لتخفّف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم آلامه ومآسيه التي كان يشهدها طيلة حياته، فهي كانت للنبي صلى الله عليه وآله بمنزلة السكينة التي ترعى أبيها، مع قيامها بواجباتها الزوجية والأمومة التي قامت بها في بيت علي بن أبي طالب عليه السلام.

فهي أسوة وقدوة للرجال والنساء، فعندما يطلب من المرأة أن تكون قدوة للنساء، إنما يكون باعتبار الجنس وبملاحظة التقارب في السلوكية والتشابه في الخلقة.

فتقول على النساء أن يقتدين بالسيدة زينب عليها السلام باعتبارها أنموذجاً وقدوة لكافة النساء، ولأنها امرأة والنساء نساء فعليهن أن يقتدين بها ويجعلنها أسوة لهن.

لكن القول في الصدّيقة الكبرى لعله يأخذ صورة أخرى، فهي ليست قدوة للنساء فحسب، بل وقدوة للرجال أيضاً، بل هي قدوة للرجال ومن ثم النساء.

ذلك لان الله تعالى خلق نوراً واحداً ثم قسمه ثلاثة أقسام؛ قسم منه هو نور نبينا الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الثاني هو نور الإمام علي عليه السلام والأئمة من ولده، وأما الثالث من الأقسام فهو نور فاطمة الزهراء عليها السلام الذي خلق الله منه السموات والأرض.

وهذا يعني فيما يعني أنها سلام الله عليها كانت في رتبة قريبة من رتبة أبيها سيد البشرية جمعاء رجالاً ونساء.

كيف لا وهي بضعة منه، وليس بعدئذ لقائل أن يزعم أنها امرأة فحسب فيختص كونها قدوة للنساء دون الرجال، لأنها شطر وقسم من نفس النور الإلهي.

فلابد للرجل وللمرأة على السواء أن يتخذوا منها بخلقها الكريم وسيرتها العطرة الزكية قدوة ومناراً يهتدي به، ويرسم الإنسان به شخصيته ويحدد معالمها.

بقلم: رعد التميمي



الغيبة الصغرى للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

أولاً: الحفاظ على شخص الإمام المهدي عليه السلام وبقاؤه

كان أيام الفراعنة وفي زمان النبي موسى عليه السلام حيث إنهم كانوا موعودين بخروج مخلص لبني إسرائيل ينهي ظلم الفراعنة ويدمر الطاغية فرعون ويقضي على جبروته، فما كان منه إلا أن قام بقتل الذكور من أبناء بني إسرائيل واستبقاء الإناث ﴿يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم﴾. (القصص: ٤)

كذلك كان من المعروف من الأخبار والروايات المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله أن عدد الأئمة اثنا عشر إماماً، وأن الإمام الثاني عشر هو الذي يزيل دول الظلم ويقضي على أئمة الجور والطغيان، فكان حكام الدولة العباسية يترقبون هذا الأمر ويحسبون له ألف حساب، فوضعوا الإمام الحادي عشر أبي الحسن العسكري عليه السلام تحت الإقامة الجبرية في بيته بسامراء، كما وضعوا نساءه تحت الرقابة المباشرة، وذلك للقضاء على الإمام الثاني عشر وتصفيته أول ولادته.

لذلك شاء الله سبحانه وتعالى إخفاء أمر حمله وولادته إلا عن خواص الشيعة والموثوق بهم من المؤمنين، وبعد ولادته عليه السلام تناهى لمسامع الحكومة العباسية بعض الأخبار عن ذلك فتمت مداهمة بيت الإمام العسكري عليه السلام مرات عديدة وبشكل مفاجئ للقبض على الإمام المهدي عليه السلام وتصفيته، وباءت جميع محاولاتهم بالفشل، مما جعل أم الإمام المهدي السيدة نرجس سلام الله عليها تدعي بأنها حامل فسجنت عند القاضي

بسامراء لمدة سنتين وذلك بعد وفاة الإمام العسكري حتى شغلوا عنها بثورة صاحب الزنج وسلمها الله منهم بفضله.

فكانت هذه الظروف العصيبة هي التي دعت الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه للغيبة حفاظاً على نفسه لكي لا يقتل كما قتل آباؤه عليهم السلام خصوصاً وهو آخر الأئمة وبقية حجج الله على الخلق وخاتم الأوصياء عليهم السلام، وهو المكلف بإقامة الدولة الإسلامية العالمية، فكان لابد من الحفاظ على وجوده بالغيبة حتى ينجز المهمة الموكل بها، وهذا ما نفهمه من الروايات التالية.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لابد للغلام من غيبة»، فقيل له: ولم يا رسول الله؟، قال: «يخاف القتل». (علل الشرائع:١/٢٤٣)

وفي البحار عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إذا ظهر قائمنا أهل البيت قال: ﴿ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً ﴾ (الشعراء:٢١)، أي خفتكم على نفسي وجئتكم لما أذن لي ربي وأصلح لي أمري». (بحار الأنوار:٥٢/٣٨٥)

وعن يونس بن عبد الرحمن قال: (دخلت على موسى ابن جعفر عليه السلام فقلت له: يا بن رسول الله أنت القائم بالحق؟ فقال عليه السلام: «أنا القائم بالحق، ولكن القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً هو الخامس من ولدي، له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتد فيها أقوام ويثبت فيها آخرون»). (كمال الدين:٣٦١)

وخرج في التوقيع من الإمام المهدي عليه السلام لمحمد ابن عثمان العمري في علة عدم ذكره باسمه: «فإنهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه، وإن وقفوا على المكان دلوا عليه». (غيبة الطوسي:٣٦٤)

ولكن هل الخوف على نفسه عليه السلام يستدعي غيابه كل هذه القرون الطوال...؟

بالطبع هذا الأمر غير منطقي فبعد انتهاء دولة بني العباس جاءت الكثير من الدول والممالك، ولم يعد يذكره أو يطلبه الظالمون بالشكل الذي كان في بدء غيبته، ولم يعد هناك حرج من ذكر اسمه أمام الناس، فلا بد أن هناك أسباباً أخرى لاستمرار الغيبة الطويلة هذه، وهذا ما سنذكره إن شاء الله تعالى في الفصل القادم في أسباب الغيبة الكبرى.

ثانياً: تهيئة الأمة للغيبة الكبرى والانقطاع التام عن الإمام عليه السلام

كان المؤمنون في زمان الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام يتلقون الأحكام الشرعية والتعاليم الإسلامية مباشرة من النبي والأئمة دون أي حاجز أو مانع، وإذا أشكل عليهم أمر ما أو قضية معينة يلجئون فيها إلى المعصوم فيحلها في الحال، واستمر هذا الأمر حتى عام ٢٦٠ هـ، عند استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام، حيث اختلف الحال ولم يعد بإمكان المؤمنين الالتقاء بالإمام المهدي عليه السلام وتلقي الأحكام الشرعية على يديه مباشرة.

ولكي لا تحدث ردة فعل عنيفة في الأمة لانقطاع الإمام عنها وغيابه بشكل مفاجئ، كان لابد من تهيئة الأمة للغيبة الكبرى، وتعويد الناس تدريجياً على احتجاب الإمام عنهم وبعد ذلك يستسيغون فكرة اختفائه عليه السلام.

لذلك كان من شأن الإمام المهدي عليه السلام تعيين السفراء الأربعة رضوان الله تعالى عليهم خلال الغيبة الصغرى كواسطة بينه وبين الناس،كما كان عليه السلام متدرجاً في الاحتجاب عن الناس خلال تلك الفترة، حيث تمكن العديد منهم مشاهدته في أول الغيبة الصغرى وكان أقل احتجاباً عن الناس، وكلما مشى الزمان زاد احتجابه، حتى لا يكاد يُنقل عنه المشاهدة في زمن السفير الرابع لغير السفير نفسه.

ولقد شبهت الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار الإمام المهدي عليه السلام بالشمس المضيئة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لجابر ابن عبد الله الأنصاري: «أي والذي بعثني بالنبوة، إنهم لينتفعون به ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب». (إعلام الورى:٣٧٦)

فكما أن الشمس قبل غروبها تماماً تبقى أشعتها لمدة معينة من الزمن حتى تغيب تماماً ويحل الظلام الدامس،

فكذلك الإمام كان في حال الغيبة الصغرى متدرجاً في الغيبة قبل انقطاعه التام عن الناس.

ويُذكر بهذا الشأن أن للإمام المهدي عليه السلام أيضاً ظهور أصغر يسبق الظهور الأكبر، وذلك يتمثل في عدة أحداث وقضايا سوف تحدث تمهّد الأرض والبشرية لظهوره المبارك عليه السلام، وكذلك طلوع الشمس فإنه لا يكون مباشرة بل يبدأ الخيط الأبيض ثم الفجر ثم نور باهت يزداد تدريجياً حتى طلوع الشمس ساطعة في السماء، وهكذا فإن ظهور الحجة بن الحسن عليه السلام، وهو كالشمس المنيرة في سماء الولاية، لابد أن يسبقه ظهور أصغر يهيئ الأرضية للظهور الكامل لوجوده المقدس.(الفجر المقدس:٤٨)

ثالثاً: إثبات حقيقة وجود الإمام المهدي عليه السلام وإبطال شبهات المشككين

بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام عام ٢٦٠ هـ، وبسبب خفاء أمر ولادة الإمام المهدي عليه السلام عن أكثر الناس، بدأ الشك يدب في نفوس الكثير منهم بوجوده عليه السلام خصوصاً مع اقتسام إرث أبيه الإمام العسكري بين عمه جعفر وجدته - أي أم الإمام العسكري حيث أوصى لها الإمام العسكري بأوقافه وصدقاته - هذا بالإضافة لادعاء عمه جعفر الكذاب الإمامة، فكان لابد من إثبات وجود الإمام المهدي عبر بعض المشاهدات للعديد من الناس، وهي التي حصلت بالفعل في فترة الغيبة الصغرى كصلاته عليه السلام على جنازة أبيه ولقائه بوفد القميين الذين جاءوا لتسليم الأموال للإمام العسكري ووصفه الدقيق لتلك الأموال.

فعن أبي الأديان في ضمن حديث طويل تحدث فيه عن استشهاد الإمام العسكري عليه السلام قال: (فلما صرنا في الدار، إذا نحن بالحسن بن علي صلوات الله عليه على نعشه مكفناً، فتقدم جعفر بن علي ليصلي على أخيه، فلما هم بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة، بشعره قطط، بأسنانه تفليج، فجذب برداء جعفر بن علي وقال: «تأخر يا عم فأنا أحق بالصلاة على أبي»، فتأخر جعفر وقد أربد وجهه واصفر، فتقدم الصبي وصلى عليه ودفن إلى جانب قبر أبيه عليهما السلام).(كمال الدين:٤٧٥)

والأمر الآخر الذي قام به الإمام المهدي عليه السلام في الغيبة الصغرى لإثبات وجوده هو اتخاذ نظام الوكلاء أو النواب بينه وبين عامة الشيعة.

ومن الأمور الهامة أيضاً التي أسهمت في إثبات وجود الإمام المهدي عليه السلام وتهيئة الذهنية العامة لدى المؤمنين للغيبة الكبرى وجعلتهم يتقبلون الفكرة بصدر رحب هو تأكيد العديد من الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام على الغيبة وحصولها للإمام المهدي عليه السلام وتحدثهم عنها بإسهاب.

فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إن لصاحب هذا الأمر - يعني المهدي - غيبتين إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات، وبعضهم يقول قتل، وبعضهم يقول ذهب، حتى لا يبقى على أمره من أصحابه إلا نفر يسير، لا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره».(غيبة الطوسي:٦١)

وعن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال: قلت له: ما تأويل قول الله تعالى ﴿ قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماءٍ معين ﴾ (الملك:٣٠)، فقال عليه السلام: «إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون».(كمال الدين:٣٦٠)

وعن محمد بن زياد الأزدي قال: سألت سيدي موسى ابن جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ (لقمان:٢٠)، فقال عليه السلام: «النعمة الظاهرة الإمام الظاهر والباطنة الإمام الغائب»، قال: فقلت له: ويكون في الأئمة من يغيب؟ قال: «نعم، يغيب عن أبصار الناس شخصه ولا يغيب عن قلوب المؤمنين ذكره، وهو الثاني عشر منا، يسهل الله له كل عسير، ويذلل له كل صعب، ويظهر له كنوز الأرض ويقرب له كل بعيد ويبير به كل جبار عنيد ويهلك على يده كل شيطان مريد، ذلك ابن سيدة الإماء الذي تخفى على الناس ولادته ولا يحل لهم تسميته حتى يظهره الله عز وجل فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».

(كمال الدين:٣٦٨)

ولقد قام الإمام الحسن العسكري عليه السلام بطريقة هادئة في إعلام كبار الشيعة والمخلصين من المؤمنين بولادة الإمام المهدي المنتظر وذلك عبر إرسال بعض الرسائل للثقاة منهم من أمثال أحمد بن إسحاق حيث كتب عليه السلام له: «ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً، وعن جميع الناس مكتوماً فإنا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والولي لولايته، أحببنا إعلامك ليسرك الله به مثل ما سرنا به والسلام». (كمال الدين:٤٣٤)

كما قام عليه السلام بذبح كذا شاة عقيقة عن ابنه المهدي وقام بتوزيع كمية كبيرة من الخبز واللحم على شخصيات من بني هاشم ووجهاء الشيعة، ولقد جاء في بعض الأخبار كما نُقل عن الحسن بن المنذر عن حمزة بن أبي الفتح أنه عليه السلام عق عنه بثلاثمائة شاة.

كما قام الإمام العسكري عليه السلام بإخبار بعض أصحابه الموثوق بهم شفوياً بولادة الإمام المهدي من أمثال أبي هاشم الجعفري وأبي طاهر البلالي كما قام عليه السلام بعرض ابنه المهدي على جماعة من أصحابه وهم أكثر من ٤٠ رجلاً وقد اجتمعوا في مجلسه فقال لهم: «هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر، فاقبلوا من عثمان - أي العمري - ما يقوله وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه». (غيبة الطوسي:٣٥٧)

ولكن لماذا لم تستمر السفارة بين الإمام المهدي عليه السلام والناس كما في الغيبة الصغرى حتى يومنا هذا؟ أو بمعنى آخر لماذا حدثت الغيبة الكبرى؟

أسباب انتهاء الغيبة الصغرى

يذكر السيد محمد صادق الصدر بشأن بدء الغيبة الكبرى الأسباب التالية:

١. استيفاء الغيبة الصغرى لأغراضها في تهيئة الذهنية العامة للناس لغيبة الإمام المهدي عليه السلام.

٢. ازدياد المطاردة والمراقبة من قبل السلطات الحاكمة آنذاك للإمام والمرتبطين به لدرجة أن السفير الرابع لم يقم بعمل اجتماعي كبير يذكر، ولم يرو لنا من أعماله إلا القليل، ولم تستمر مدة سفارته إلا ثلاثة أعوام فقط.



٣. عدم إمكانية المحافظة على السرية الملتزمة في خط السفارة لو طال بها الزمان أكثر من ذلك وانكشاف أمرها شيئاً فشيئاً، فخلال السبعين سنة تقريباً وهي مدة الغيبة الصغرى لم يُنقل أنه عُرف كيف يتم الاتصال بين الإمام والسفراء، وكيف يخرج لهم التوقيع، وأين يجتمعون مع الإمام عليه السلام. (تاريخ الغيبة الصغرى:٣٦٠)

بل لم يكن لأي من السلطات الحاكمة آنذاك أن يثبتوا على أحد السفراء أو وكلائهم أنهم أخذوا مالاً من أحد ما لتوصيله للإمام، ولم يجدوا في حوزتهم أي أوراق تثبت اتصالهم بالإمام عليه السلام.

فعن الحسين بن الحسن العلوي قال: (انتهى إلى عبيد الله بن سليمان الوزير أن له - أي الإمام - وكلاء وأنه تجبى إليهم الأموال، وسموا الوكلاء في النواحي، فهمّ بالقبض عليهم، فقيل له: لا، ولكن دسوا لهم قوماً لا يعرفونهم بالأموال، فمن قبض منهم شيئاً قُبض عليه، فلم يشعر الوكلاء بشيء حتى خرج الأمر - أي من صاحب الزمان - أن لا يأخذوا من أحد شيئاً وأن يتجاهلوا بالأمر، وهم لا يعلمون ما السبب في ذلك، وامتنع الوكلاء كلهم لما كان تقدم إليهم، فلم يظفروا بأحد منهم ولم تتم الحيلة فيهم). (الكافي:١/٤٤٠)

ولقد تعرض السفير الثالث الحسين بن روح للاعتقال والمساءلة لفترة من الزمن وحينما لم تجد عليه السلطات أي مستمسك أطلقت سراحه.

بقلم: ماهر آل شبر



الطبقات الاجتماعية في نهج البلاغة

يتألف المجتمع من الأجزاء، وكما أن الفرد له وجود وآثار وخواص فكذلك المجتمع له وجود وله آثار وخواص غير ما للفرد، فلذا وجود الاجتماع أيضاً معروض للأوصاف وعوارض شتى كالانقلاب والركود والتحرّك والسكون وغير ذلك.

فعناصره الأصلية هي الأفراد وهي بمنزلة الذرّة في الأجسام، لكن من الواضح البديهي أن الأفراد ليسوا وحدات المجتمع، حيث إنّهم ليسوا من جنس الكل.

مع أن الواجب أن يكون الواحد من جنس الكل، فكما أن واحد الطول والوزن يكون من جنسهما، كذلك لابدّ أن يكون واحد المجتمع أيضاً ما يسمى بمولكول فواحد الماء مركّب من ذرة أكسيجين وذرتي هيدرجين، وواحد ملح الطعام جزء صغير مركب من ذرة كولر وسديم وهذا الجزء هو لكل الملح.

فلا ريب أن المجتمع مؤلف من العوائل والعائلة مؤلّفة من أعضاء هم: الأب والأم والابن والأولاد، فواحد المجتمع هو الذي يكون من جنسه هو مجموع العائلة، ولا يمكن أن يفرض للمجتمع واحد أصغر من ذلك، إلاّ أن هذا لا يمنع من فرض واحد أكبر منه، ومن هنا يظهر موضع الطبقات الاجتماعية، فكل طبقة يمكن أن تحسب وحدة للمجتمع أكبر من الوحدة التي أشرنا إليها وهي العائلة.

والطبقات منها ما تكون طبيعية ومنها ما تكون غير طبيعية، فالطبقات الطبيعية هي الطبقات العرضية الأفقية التي لو كان فيها التعاضد والتعاون لارتقى المجتمع إلى ذروة الكمال والمدنية، ولو لم يكن كذلك تسقط إلى أدنى مرتبة الحياة، ﴿ أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ﴾.

أما الطبقات غير الطبيعية التي يجب دفعها حيث توجد وطردها عن حياة المجتمع مهما أمكن، فهي الطبقات الطولية العمودية القائمة الظالمة، المستقرة على أساس الظلم والتبعيض، المتكئة على نظام مفتّت للاستعدادات الذاتية المحددة لأفراد الطبقة السفلى بعدم جواز خروجهم وعبورهم إلى الطبقة العليا، سيرتهم الإسراف لأنفسهم والإمساك عن غيرهم والتكبّر ومنع الضعفاء والأرامل والأيتام عن حقوقهم كما يكتب الإمام علي عليه السلام في كتاب له إلى زياد بن أبيه: «فدع الإسراف مقتصداً، واذكر في اليوم غداً، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدّم الفضل ليوم حاجتك، أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المستكبرين، وتطمع وأنت متمرّغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة، أن يوجب لك ثواب المتصدّقين؟ وإنّما المرء مجزي بما أسلف وقادم على ما قدّم والسلام». (نهج البلاغة: رسالة ٢١)

فمن هذا الكتاب الخالد يمكن أن نعرف أوصاف أفراد هذه الطبقة، وزياد الذي نهاه الإمام علي عليه السلام عن الإسراف والإمساك والتكبّر والتمرّغ في النعيم ومنع الضعفاء





والأرامل هو منهم وهو مع كونه ممن ولّاهم عليه السلام للحكم بين الناس وكان الحق أن يتّبع سيرته عليه السلام ليسير معه طريق الارتقاء الفردي والنوعي، خرج وفّر إلى معاوية بن أبي سفيان، إذ هو غير ناهيه عن هذه الأمور الشنيعة بل باسط يده في سبيلها كيفما شاء!

ولدا حكم معاوية وأعلن بين الناس أنّ زياداً أخوه والى أبي سفيان، وواقع الأمر أنّهما فرعان من شجرة خبيثة اجتثّت من فوق الأرض ما لها من قرار!! هذه الشجرة، هي شجرة الطبقات الطولية والتمايز الطبيقي والتبعيض والظلم والإسراف!

هذه الطبقات غير الطبيعية هي التي لا يجوز أن تكون، ومع ذلك حدثت في المجتمعات القديمة كالمجتمع الهندي القديم، بل يوجد آثارها وخصائصها - أحياناً - في مجتمعات العصر الحاضر كما يقول (بي يرلاروك) في وصف حدّي طبقات المجتمع الأمريكي ويسميها (الطبقة العليا).

هذه الطبقة الاجتماعية محصورة من جميع الأطراف، ومطالبة باستمرار هذا الحصار، فالورود في محافلهم ومؤسساتهم ومعايدهم الخاصة بهم ممنوع مشكل، وحياتهم غير مرتبطة بحياة الطبقات الدانية، مع التعصّب الشديد بالنسبة إلى طبقتهم.

فالطبقة الأولى متنعّمة بجميع النعم وجميع إمكانات الحياة، وفي أيديها جميع أسباب الترف، وهي المترفة التي يذكرها القرآن الحكيم ويعدّها من أصحاب الشمال الذين كانوا يقولون - اغتراراً بدنياهم وابتلاءً بسكر المال والجاه والقدرة -: ﴿ أإذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون ﴾؟! وهم الذين كانوا سبب تدمير القرى بغشّهم وترفهم.

وأمّا الطبقة السفلى فهي مستثمرة من قبل الطبقة الأولى، وجميع إمكاناتها جارية في سبيل أهوائها وهواجسها، وبين الطبقتين طبقة وسطى هي عاملة للطبقة الأولى واسطة بينها وبين الطبقة السفلى تأخذ الأجر من الطبقة الأولى وتجري أوامرها وتسوق الطبقة السفلى إلى ما هو مرادها، فهي بمنزلة القوة التنفيذية لها، بل هي يدها الباسطة على رؤوس الطبقة الهالكة المظلومة.

ومن الواضح البديهي أن هذا النظام ليس مقبولاً لدى الشرائع الحقة، بل تحكي لنا الوقائع التاريخية في حياة الأنبياء والأئمة عليهم السلام أنهم عارضوه كل المعارضة.

فإبراهيم عارض نمرود، وموسى عارض فرعون، وهامان وقارون وبلعم باعورا، وعيسى عارض أشراف اليهود، ونبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله عارض أبا جهل وأبا سفيان ووليد ابن المغيرة وغيرهم، ممن كانوا يأكلون الربا أضعافاً مضاعفة، ويصدّون عن سبيل الله ويعارضون الحق ويمنعون عن بسط الإسلام في أقطار شبه الجزيرة ومنه إلى أكناف العالم، فهم وأتباعهم كانوا يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وليس لهم من قبل الدين ومن ناحية صاحب لواء الرسالة سوى التبشير بالعذاب الأليم: ﴿ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾.

ويحذّر رسول الله صلى الله عليه وآله الناس عن أولاد العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلاً، لأنهم عندئذ: «يتخذون مال الله دولاً، ودين الله دغلاً، وعباد الله خولاً»

وأمّا علي بن أبي طالب عليه السلام فعارض في أيّام خلافته وقدرته معاوية بن أبي سفيان قلماً ولساناً وسيفاً وأرى الناس مضارّ وجوده وحكومته، حيث قال: «أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه، ولن تقتلوه! ألا وإنه سيأمركم بسبّي والبراءة منّي، فأمّا السبّ فسبّوني فإنه لي زكاة، ولكم نجاة، وأمّا البراءة فلا تتبرّأوا منّي فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة». (نهج البلاغة: الخطبة٥٧)

ويكتب عليه السلام إليه أيضاً: «وأرديتَ جيلاً من الناس كثيراً خَدَعْتَهم بغيّك، وألقيتهم في موج بحرك، تغشاهم الظلمات، وتتلاطم بهم الشبهات، فجازوا عن وجهتهم، ونكصوا على أعقابهم، وتولّوا على أدبارهم، وعوّلوا على أحسابهم، إلا من فاء من أهل البصائر، فإنهم فارقوك بعد معرفتك، وهربوا إلى الله من مؤازرتك، إذ حَمَلْتَهم على الصعب، وعدلت بهم عن القصد، فاتّق الله يا معاوية في نفسك وجاذب الشيطان قيادك، فإن الدنيا منقطعة عنك، والآخرة قريبة منك، والسلام». (نهج البلاغة: الرسالة٣٢)

بقلم: د. أحمد مرتضى



الأخلاق في نهج البلاغة

جاء في نهج البلاغة أنّ معاوية انتبه يوماً فرأى عبد الله ابن الزبير جالساً تحت رجليه على سريره، فقعد، فقال له عبد الله يداعبه: لو شئت إن أفتك بك لفعلت، فقال: لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر، فقال: وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصف إزاء علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: لا جرم إنه قتلك وأباك بيسرى يديه وبقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها.

إذا عرفنا أن عبد الله بن الزبير من أشد الناس بأساً ومن ألد أصحاب الفتنة خصومة لعلي عليه السلام أدركنا مدى ما يصوره من شجاعة علي عليه السلام وبطولته ساعة أراد أن يبالغ في وصف شجاعته هو فما رأى أبلغ من أن يصور نفسه واقفاً في صف من المحاربين إزاء علي عليه السلام وإذا عرفنا كذلك عداء معاوية لعلي عليه السلام وحرصه الشديد على أن يكتم كل فضيلة من فضائله عملاً بمصلحة ملكه الجديد، ثم رأيناه يقول هذا القول، أدركنا من شجاعة علي عليه السلام هذا المدى البعيد الذي حمل معاوية قسراً على الاعتراف بما اعترف به.

وكان علي عليه السلام مع قوّته البالغة وشجاعته النادرة، يتورع عن البغي أياً كان الظرف، فقد أجمع المخبرون والرواة والمؤرخون أن عليّاً عليه السلام يأنف القتال إلاّ إذا حمل عليه حملاً، فكان يسعى أن يسوي الأمور مع خصومه ومن يبادره بالعداوة على وجوه سلمية تحقن الدم وتحول دون النزال، وكان يردّد على أسماع ابنه الحسن عليه السلام هذا القول: «لا تدعونّ إلى مبارزة».

ولما كان قول الإمام عليه السلام لا يخرج إلاّ عن معدن صاف، فقد طالما عمل بوصيته لابنه الحسن عليه السلام وعف عن القتال إلاّ مكرها، ومن ذلك أنّ جنود الخوارج أخذوا يعدّون العدّة لمحاربته، وأراد أحدهم منه بأن يبادرهم قبل أن يبادروه، فأجاب عليه السلام قائلاً: «لا أقاتلهم حتى يقاتلوني».

ورأى أن شهامة الفارس وعقيدة المؤمن بالخير ووثبة الإنسان في روحه، تقضي عليه بأن يجادلهم لعلهم قانعون، وفيما كان يعظ قوماً فيهم كثير من الخوارج الذين يكفّرونه، بهرت عظته بعض هؤلاء الخوارج فصاح، وقد أرغمته بلاغة علي عليه السلام وسحر بيانه على الإعجاب والإكبار، قائلاً: قاتله الله كافراً ما أفقهه، فهمّ أتباع عليه السلام بقتله، فصاح عليه السلام بهم يقول: «إنّما هو سبّ بسب أو عفو عن ذنب».

وقد مرّ بنا ذكر ما كان من شأنه وشأن جنود معاوية ساعة عزم هؤلاء على أن يميتوه عطشاً، وساعة قابل سيئاتهم بإحسانه فلم يمنع عنهم ورود الماء بل ساواهم بنفسه وأتباعه، وله مع معاوية وجنوده أخبار لا يتسع لذكرها مجال، وكلها تشير إلى عبقرية علوية خاصة في



التورع عن البغي وفي الأخذ بالحسنى، من ذلك ما رواه أحد مؤرخي سيرة الإمام عليه السلام إذ قال: واتفق في يوم صفين أن خرج من أصحاب معاوية رجل يسمى كريز ابن الصباح الحميري، فصاح بين الصفين، من يبارز؟ فخرج إليه رجل من أصحاب علي عليه السلام فقتله كريز، ووقف عليه ونادى: من يبارز؟ فخرج إليه رجل آخر، فقتله وألقاه على الأول، ثم نادى، من يبارز؟ فخرج إليه الثالث فصنع به صنيعه بصاحبيه، ثم نادى رابعة: من يبارز؟ فأحجم الناس جميعاً ورجع من كان في الصف الأول إلى الصف الذي يليه، وخاف علي عليه السلام أن يشيع الرعب بين صفوفه، فخرج إلى ذلك الرجل المدلّ بشجاعته وبأسه فصرعه ثم قال يسمع الصفوف: «يا أيها الناس، لو لم تبدأونا ما بدأناكم» ثم رجع إلى مكانه.

ومن ذلك ما جرى يوم موقعة الجمل، فحين اجتمع عليه خصومه وساروا بجهدهم إليه، أمر أصحابه أن يصطفوا ففعلوا فقال لهم: «لا ترموا بسهم ولا تطعنوا برمح، ولا تضربوا بسيف، وأعذروا»، وكان يأمل بذلك أن يتجنب الحرب ويسوّي الأمور سلماً فيحقن الدماء فلا يموت من الناس من يموت قتيلاً، وما هي إلا دقيقة حتى رمى رجل من عسكر القوم بسهم فقتل رجلاً من أصحاب علي عليه السلام فصاح علي عليه السلام: «اللهم اشهد»، ثم أصيب رجل آخر فقتل، فقال عليه السلام: «اللهم اشهد»، وأصيب عبد الله بن بديل فأتى به أخوه يحمله، فقال علي عليه السلام: «اللهم اشهد»، ثم كانت الحرب.

وطبيعة التورع عن البغي أصل من أصول نفسية علي عليه السلام وخلق من أخلاقه وهي متصلة اتصالاً وثيقاً بمبدئه العام الذي يقوم بمعرفة العهد وصيانة الذمة والرحمة بالناس حتى يخونوا كل عهد ويقسوا دون كل رحمة، ونم أروع صور المودّة وآيات الوفاء أن يقف فارس في حومة الحرب وينظر إلى معارفه من منازليه نظرة المؤاخاة الداعية إلى السلم، ويذكّرهم ما بينه وبينهم من عهد سبق ومودة تربأ بنفسها أن تنقلب أو تخون، يذكّرهم ما بينه وبينهم من عهد يريد بذلك أن ينزع من أيديهم السلاح ويحل ما تعقّد من الأمور على صورة هي للسلم والصفاء أقرب، فإنه لا يحارب عدواً له سابقة مودة به إلا بعد أن يأخذ بتذكيره هذه السابقة ويستعيد على مسامعه ما سلف من عهد الإخاء والصفاء، فلعلّ في الصداقة القديمة ما يحيى ضمير هذا العدو فيكون له رادعاً عن العداوة والبغضاء، وما كان لعلي عليه السلام أن يستنجد الصداقة على العداوة لولا ذلك الفيض العظيم من الوفاء والحنان تزخر به نفسه ويطغى على جنانه.

ومن الدلائل القاطعة على عاطفة الوفاء العميقة التي كانت تعمر قلب الإمام عليه السلام، وعلى دفق المودة نفسه، أخباره مع عدوّيه الزبير بن العوام وطلحة ابن عبيد الله اللذين ألّبا عليه أنصاره وضمّاهم إلى خصومه واندفاعا بهم جميعاً وعلى رأسهم عائشة، إلى قتاله.

فمن ذلك ما رواه الثقاة من المخبرين عن المشاهدين أنصاراً وأخصاماً، قالوا إن الزبير وطلحة لمّا ألحّا في حربه وإنكار بيعته والتجنّي عليه في موقعة الجمل المشهورة، خرج عليّ عليه السلام إليهما حاسراً لا يحتمي بدرع ولا بسلاح، تدليلاً على نوايا السلم التي يضمر، ونادى: «يا زبير، أخرج إليّ»، فخرج الزبير إليه مدججاً بالسلاح، وسمعت عائشة ذلك فصاحت: واحرباه، ذلك إنها لم يخالجها أقلّ شك في أن الزبير لا محالة مقتول، فخصم علي عليه السلام مقضيّ عليه بالموت إذا نازله، مهما كان حظه من الشجاعة عظيماً ومهما كانت خبرته بالقتال فائقة.

ولشدّ ما دهشت عائشة ومن حولها وهم يرون إلى علي ابن أبي طالب عليها لسلام يعانق الزبير، عانقه طويلاً لأن أسباب المودة لا تنقطع في القلب الكبير، وعاد علي عليه السلام يسأل الزبير بلهجته الصادقة القديمة: «ويحك يا زبير، ما الذي أخرجك؟!»، فقال: دم عثمان، قال عليه السلام: «قتل الله أولانا بدم عثمان».

فقد رويت هذه الحادثة عن أَحْمَدُ بْن مَنِيع أنه قال: **(حدثنا يَزِيدَ بْن هَارُونَ قَالَ: حَدَّثَنَا مَشِيخَتُنَا وَعُلَمَاؤُنَا عَنْ عَبْد الْقَيْس قَالُوا: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجَمَل خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالب عليه السلام حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ وَقَدْ أَحَاطَتْ بِالْهَوْدَج بَنُو ضَبَّةَ فَنَادَى: «أَيْنَ طَلْحَةُ وَأَيْنَ الزُّبَيْرُ»، فَبَرَزَ لَهُ الزُّبَيْرُ فَخَرَجَا حَتَّى الْتَقَيَا بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، فَقَالَ: «يَا زُبَيْرُ مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟»، قَالَ: الطَّلَبُ بِدَم عُثْمَانَ فَقَالَ عليه السلام: «قَاتَلَ اللهُ أَوْلَانَا بِدَم عُثْمَانَ، أَمَا تَذْكُرُ يَوْماً كُنَّا فِي بَنِي بَيَاضَةَ فَاسْتَقْبَلَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله مُتَّكِئاً عَلَيْه فَضَحِكْتُ إِلَيْكَ وَضَحِكْتَ إِلَيَّ فَقُلْتَ يَا رَسُولَ الله إِنَّ عَلِيّاً لا يبركه يَتْرُكُهُ زَهْوُ زَهْوُهُ فَقَالَ صلى الله عليه وآله مَا بِه زَهْوٌ وَلَكِنَّكَ لَتُقَاتِلُهُ يَوْماً وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ»، قَالَ: نَعَمْ وَلَكِنْ كَيْفَ أَرْجِعُ الآنَ إِنَّهُ لَهُوَ الْعَارُ، قَالَ عليه السلام: «ارْجِعْ بِالْعَار قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيْكَ الْعَارُ وَالنَّارُ)**. (كفاية الأثر:١١٥)

وجعل علي عليه السلام يذكّره العهود والصداقات وأيام الأخوة السالفات، وربما بكى علي عليه السلام في مثل هذا الموقف، ولكن الزبير استمر في قتال الإمام عليه السلام حتى صرع، وكان مصرعه على كره من راعي المودّات، علي ابن أبي طالب عليه السلام.

ولكن صاحب المودّات لم يرع أصدقاؤه له مودة، لأنهم لم يكونوا ليطمعوا بأن يحولوا بينه وبين نفسه، فيطلق أيديهم في خيرات الأرض دون سائر الخلق.

ويقول علي عليه السلام: «والله لو أعطيت الأقاليم السبع بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله نملة أسلبها لبّ شعيرة ما فعلت، وإن دنياكم أهون عندي من ورقة في فم جرادة». (نهج البلاغة)

وليس علي عليه السلام في هذا المجال قائلاً ثم عاملاً، بل هو القول يجري من طبيعة العمل الذي يعمل، والشعور الذي يحس، والحياة التي يحيا، فعلي عليه السلام أكرم الناس مع الناس، وأبعد الخلق عن أن ينال الخلق بالأذى، وأقربهم إلى بذل نفسه في سبيلهم على أن يقتنع ضميره، هذا البذل، أو ليست حياته كلها سلسلة معارك في سبيل المظلومين والمستضعفين، وانتصاراً دائماً للشعب دون من يريدونه آلة إنتاج لهم (من السادة ورثة الأمجاد العائلية) أو لم يكن سيفاً صارماً فوق أعناق القرشيين الذين أرادوا استغلال الخلافة والإمارة للسلطان والجاه وتكديس الأموال؟

ألم يضع الخلافة والحياة على الأرض لأنّه أبى مسايرة أهل الدنيا في استعباد إخوانهم الضعفاء والفقراء والمظلومين؟ أليس علي عليه السلام أعظم الناس رفقاً بالناس يوم دفع عنه أخاه عقيلاً الذي جاءه يطلب من مال الشعب، وآثر أن يلوي عنه أخوه هذا ويساير معاوية على أن يأذن له في التصرف بالقليل القليل من مال الفقير والمظلوم والعامل ومن رقّ حاله؟ أليس علي عليه السلام أباً كريماً لشعبه في توجيه الولاة والعمال نحو الرفق بالناس والضرب على أيدي المستغلّين من ذوي الوجاهة والسلطان مشدّداً في هذا التوجيه مهدّداً بالعقاب؟ أليس علي عليه السلام هو صاحب هذه الوصايا المكررة في آذان ولاته: «أنصفوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم فإنّهم خزان الرعية، ولا تحسموا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعنّ للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابّة يعتملون عليها، ولا تضربنّ أحداً سوطاً لمكان درهم». (نهج البلاغة)

بقلم: جورج جرداق

من هم الذين يمشون على وجوههم يوم القيامة؟

لقد أشار القرآن الكريم إلى أن من الناس مَن يمشي على وجهه يوم القيامة، وذلك فيما يلي:

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾. (الإسراء:٩٧)

وقال تعالى أيضاً: ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾. (الفرقان:٣٤)

ما المقصود بالوجه؟

أما المقصود من حشرهم على وجوههم فهو سحبهم إلى نار جهنم على وجوههم أو جباههم، كما قال ذلك بعض المفسرين.

ويؤيد هذا القول رواية العياشي: عن بكر بن عمر عن الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام في قوله تعالى قالا: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ... ﴾ أي على جباههم.

إلا أن هناك روايات أخرى تصرّح بأن هؤلاء سوف يمشون مشياً حقيقياً على وجوههم، ومنها:

١. عن النبي صلَّى اللّه عليه و آله أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال صلى الله عليه وآله: «إن الذي أمشاه على رجليه قادرٌ على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة». (تفسير الصافي:٣/٢٢٣)

٢. عن رسول اللّه صلَّى اللّه عليه و آله أنه قال: «يُحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاة، و صنفاً ركباناً، و صنفاً على وجوههم»، قيل يا رسول اللّه وكيف يمشون على وجوههم؟ قال صلى الله عليه وآله: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادرٌ على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حَدَب وشوك». (سنن الترمذي: حديث٣٠٦٧)

من هم هؤلاء الذين يمشون على وجوههم؟

قال الطبرسي في مجمع البيان: هم كفّار مكة، و إنهم قالوا لمحمد صلَّى اللّه عليه و آله وأصحابه: هم شر خلق اللّه، فقال اللّه سبحانه: ﴿ ...شَرٌّ مَّكَانًا... ﴾؛ أي منزلاً؟ ﴿ ...وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ من المؤمنين. (مجمع البيان:٢/٤٣٣)

أي أولئك هم شرٌ مكاناً ومنزلاً وأضلُ سبيلاً لا المؤمنين برسول اللّه صلَّى اللّه عليه و آله.

في تفسير البرهان عن كتاب الغيبة للنعماني، بإسناده عن كعب الأحبار، (... فقيل يا كعب من هؤلاء الذين يمشون على وجوههم، وهذه الحال حالهم؟ قال كعب: أولئك الذين كانوا على الضلال والارتداد والنكث، فبئس ما قدّمت لهم أنفسهم إذا لقوا اللّه بحرب خليفتهم ووصي نبيهم وعالمهم وسيدهم وفاضلهم، حامل اللواء وولي الحوض، والمرتجى والمرجى دون هذا العالم، وهو العلم الذي لا يجهل، والحجة التي من زال عنها عطب وفي النار هوى، ذلك علي ورب كعب، أعلمهم علماً وأقدمهم سلماً وأوفرهم حلماً، عجباً ممن قدّم على علي عليه السَّلام غيره، ومن نسل علي عليه السَّلام القائم المهدي عليه السَّلام، ومن يشك في القائم المهدي الذي يبدّل الأرض غير الأرض). (تفسير البرهان:٤/١٦٦)

بقلم: الشيخ صالح الكرباسي

التقية في الإمامة

تعد الإمامة من المواضيع الشائكة التي شغلت بال المسلمين وكثر الاختلاف فيها منذ الصدر الأول للإسلام إلى يومنا هذا، قال الشهرستاني: (وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة). (الملل والنحل:١/٢٤)

ولم يقف الخلاف أو الاختلاف عند حد معين، فقد اتسع نطاقه ليشمل الاختلاف الفكري، فحدثت مذاهب واتجاهات متباينة في الأمور الاعتقادية التي تشكل أسس الإسلام وجذوره.

إن أهمية الإمامة تكمن في كونها ضرورة من ضرورات الدين، جعلها الله لتنظيم شؤون الناس وهدايتهم إلى الطريق القويم.

وكونها امتداداً طبيعياً لقيادة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فكما أنّ النبي المرسل هو المجسد للأحكام الإلهية والقوانين السماوية، كذلك الإمام من بعده، فهو المنقذ والمطبق لتلك الأحكام والقوانين، (إذ لا بد أن يكون في كل عصر إمام هادٍ يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين). (عقائد الإمامية:١٥)

وعادة ما يكون الناس أقرب إلى الميل للأعمال الصالحة والسيرة القويمة عند وجود القادة الروحانيين الذين يختارهم الله لأن يستخلفوه في أرضه وسمائه، قال الشريف المرتضى: (الإمامة في كل زمان تقرب الناس من الصلاح وتبعدهم عن الفساد عند وجود الرؤساء الإلهيين). (جمل العلم والعمل:٣/٢٠)

وقد ذكر للإمامة تعريفات عدة منها عند علماء اللغة ومنها في مصطلح المتكلمين سنورد بعضاً منها، فهي مأخوذة من تعريف الإمام: فالإمام: (الذي يأتم به الناس) (الطريحي:١/١٠٤)، و(الذي يتقدمهم) (ابن منظور:١٢/٢٤)، وبمعنى الطريق، لأنه يقصد ويتبع، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (الحجر:٧٩)، أي لبطريق واضح). (لسان العرب:١٢/٢٤)

أما اصطلاحاً فقد ذكر لها المتكلمون تعريفات منها:

أ/ (رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا). (النكت الاعتقادية:٣٩)

ب/ (رئاسة عامة دينية في ترغيب الناس في حفظ مصالحهم الدينية والدنيوية، «وزجرهم عما يضرهم بحسبها). (قواعد الاعتقاد:١٠٨)

ج/ (هي خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة). (شرح المواقف:٣٤٤)

د/ (هي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا خلافة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم). (شرح المقاصد:٢/٢٧٢)

وقيل: (هي المنصب الإلهي، الذي أولاه الله تعالى لمن اختاره قدوة للناس في أمور الدين والدنيا). (نظرات في عقيدة الإنسان المسلم:١٣٩)

وجاء في مواهب الرحمن: (الإمامة في عرف المليين، هي: الزعامة الإلهية، والرئاسة الربانية على الناس، والإمام هو: الزعيم والمقتدى في أمور الدين والدنيا فهو القوة المجربة لأحكام الله تعالى وتدبيراته في خلقه، من حيث التشريع، فتكون رئاسته من الحق وبالحق). (تفسير مواهب الرحمن:٢/٩)

والواقع أن التعاريف من كلا الفريقين تتباين من جهة أن التفريق بين الإمام والخليفة من قبل الإمامية الذين يرون أن كل إمام خليفة ولا عكس، بخلاف متكلمي الفرق الإسلامية الأخرى الذين يرون أن الخليفة هو الإمام.

هل الإمامة فرع أم أصل؟

أكثر الحث في التقية وقع في موضوع الإمامة باعتبار أنّ المسلمين انقسموا إلى فرقتين، واحدة ترى أنّ الإمامة من فروع الدين وأنّ للأمة رأياً فيها، فهي منصب سياسي أكثر من كونه دينياً وهذا هو رأي الجمهور، وهذا ما اتفقت عليه المذاهب الإسلامية - باستثناء الإمامية - معتبرين أنها من واجبات الشريعة، حالها حال الصلاة والصوم وباقي الأمور الشرعية الضرورية.

ذكر الإيجي: (وهي عندنا من الفروع، وإنما ذكرناها في علم الكلام تأسياً بمن قبلنا). (المواقف:٣/٥٧٤)

وقال التفتازاني: (لا نزاع بأنّ مباحث الإمامة بعلم الفروع أليق، لرجوعها إلى أن القيام بالإمامة ونصب الإمام الموصوف بالصفات المخصوصة من فروض الكفايات). (شرح المقاصد:٢/٢٧١)

فالذي يذهب إلى هذا المقام يرى أنّ الإمامة هي منصب دنيوي فلذلك ذهبت إلى الانتخاب لا بالنص، وعلى هذا اختار الخلفاء الأول ثم الثاني بالتوصية والثالث تم اختياره أو انتخابه من بين ستة.

إن النصوص التاريخية تشهد أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم خيب آمال الطامحين في تولي الخلافة من بعده وقال أنّه بيد الله، يعني لا بيدي ولا بيد الناس وهناك أدلة منها: لما عرض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه على بني عامر في موسم الحج ودعاهم إلى الإسلام قال له كبيرهم: (أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء»). (السيرة النبوية:٢/٤٢٤)

من هذا نعرف أن الأمر لم يكن مختصاً بالنبي الأكرم، بل الإمعان في تاريخ أصحابه والخلفاء الذين تعاقبوا على مسند الحكومة، يدل على أنهم انتهجوا أيضاً نهج تنصيب الخليفة لا تفويض أمره إلى الأمة، فلو أغمضنا النظر عن خلافة أبي بكر وما جرى حولها من لغط، فهي بعيدة كل البعد عن مبدأ الشورى والانتخاب النزيه. نعم الخلافة الأولى التي تزعمها أبو بكر لم تكن شورى، فهذا عمر بن الخطاب بنفسه يشهد كما أخرج البخاري ومسلم (إن بيعة أبي بكر كانت فلتة، وقى الله شرها المسلمين، والذي يعود لمثلها اقتلوه). (شرح نهج البلاغة:١/١٣٢)

كذلك قال أبو بكر: (إن بيعتي فلتة، وقى الله شرها وخشيت الفتنة). (أنساب الأشراف:١/٥٩٠)

فلنا في انتخاب الخليفتين الآخرين دليل واضح على أنّ الخلافة عندهم هو تعيين الخليفة شخصاً لا تفويض أمر انتخابه للظروف والأمة. (بحوث في الملل والنحل:٦/٣٤)

قال ابن قتيبة: دعا أبو بكر عثمان بن عفان فقال: اكتب عهدي، فكتب عثمان وأملى عليه بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر بن قحافة آخر عهده بالدنيا.. إني استخلف عليكم عمر بن الخطاب. (الإمامة والسياسة:١/١٨)

وهكذا جرى الحال في كل الخلفاء من بعد عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والطريف في ذلك هو أنّ: عمر بن الخطاب لما أحس بالموت قال لابنه عبد الله: اذهب إلى عائشة واقرأها مني السلام، واستأذن منها أن أقبر في بيتها مع رسول الله ومع أبي بكر، فأتاها عبد الله فأعلمها.. فقالت: - نعم وكرامة ثم قالت: يا بني أبلغ عمر سلامي فقل له: لا تدع أمة محمد بلا راعٍ، استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هملاً، فأنا أخشى عليهم الفتنة، وهذا الأمر الذي التفتت إليه عائشة إنما كان على بال المسلمين ودليل اهتمامهم به، فأتى عبد الله (إلى أبيه) فأعلمه. (الإمامة والسياسة:١/١٩)

هكذا كان تفكير وفعل أهل الجمهور وما زال.

أما الإمامية، فيعتبرون الإمامة (الأصل الذي امتازت به الإمامية وافترقت عن سائر فرق المسلمين). (أصل الشيعة وأصولها:١٤٥)

وقد أكد أئمتهم على ذلك في أحاديث عدة، فقد أورد الإمام الصادق عليه السلام أنّ الإمامة أصل في معرض تفسيره قول الله عز وجل: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾. (إبراهيم:٢٤)

قال عليه السلام: «النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام هم الأصل الثابت والفرع الولاية لمن دخل فيها». (بصائر الدرجات:٨٠)

وقال عليه السلام: «نحن أصل كل خير ومن فروعنا كل البر». (الكافي:٨/٢٤٢)

هذا كله نشأ منذ وفاة صاحب الرسالة واستمر إلى وقتنا الحاضر، وهذا الصراع الذي نشأ بين الفرق الإسلامية بين منكر لأمر الولاية أو الإمامة، واعتبارها منصباً سياسياً لا أكثر، وبين من اعتبرها امتداداً لرسالة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومن أدلته التي يسوقها كثير جداً ويدل على أنها بالنص لا بالتنصيب والشورى، فالقرآن فيه الشواهد والأدلة، والأحاديث كثيرة أيضاً في هذا المجال.

الذي نريده هنا أنّ هذا الصراع ولد فرقتين فرقة تخشى من الأخرى، ومن هنا كان للتقية دور مهم في الخروج من مأزق المتسلطين الأقوياء والحكام الظلمة، فالملاحظ أنّ هذا الاختلاف في المرجعية العلمية عززته السياسة بالقوة، فكان الخليفة أو الحاكم يقرب فقهاء ويبعد آخرين فالخليفة الثالث عثمان مثلاً قرب بني أمية، ومعاوية استخدم نفس سياسة عثمان وهكذا استطاعت السياسة أن تفكك عرى المسلمين على حساب المصالح.

وغالباً ما كان يمارس الخلفاء ضغوطاً سياسية واقتصادية، بل ومارسوا القمع الشديد بالقتل والإرهاب والتشريد لفقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام مما اضطر الأئمة وأتباعهم لممارسة التقية حفاظاً على أنفسهم وطائفتهم من القتل الذي تعرض له حجر بن عدي وميثم التمار ورشيد الهجري وعمرو ابن الحمق الخزاعي وجورية بن مسهر العبيدي.

بقلم: كاظم حسن جاسم



أفضل الأعمال انتظار الفرج

السـؤال الذي يطـرح في هذا العصر هـو أنّه ماذا يجب علينـا فعله في غيبة الإمام عليه السـلام؟ ومـا هو تكليفنا الشـرعي في عصر الغيبة؟

فكمـا أن الإمام المهدي عليه السـلام يقـوم بالمهام التي أوكلت إليه خير قيام، فنحن في المقابل أيضاً يجب أن نقوم بواجباتنـا الملقاة علينـا في زمن الغيبة قدر المسـتطاع وما أمكننا ذلك.

فبالإضافـة للواجبات الإسـلامية العامـة التي تقع على المكلفين من المسـلمين في جميـع العصـور والأزمنة وأعني بذلـك واجب الدعوة الإسـلامية والأمر بالمعـروف والنهي عـن المنكـر ومحاربـة الفسـاد وغير ذلـك مـن الواجبات الشرعية، هناك واجبات معينة تختص بعصر الغيبة الذي نعايشــه في الوقت الراهن.

معرفة الإمام المهدي عليه السلام حق المعرفة

عـن مُحَمَّد بْن إِبْرَاهِيمَ بْن إِسْـحَاقَ رَضِـيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنِـي أَبـو عَلِيٍّ بْنِ هَمَّام قَالَ: سَـمِعْتُ مُحَمَّـدَ بْنَ عُثْمَانَ الْعَمْـرِيَّ قَدَّسَ اللهُ رُوحَـهُ يَقُولُ: سَـمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سُـئِلَ أَبـو مُحَمَّدٍ الْحَسَـنُ بْنُ عَلِي عليهما السـلام وَأَنَا عِنْدَهُ عَنِ الْخَـبَرِ الَّذِي رُوِيَ عَـنْ آبَائه عليهم السـلام «أَنَّ الْأَرْضَ لاَ تَخْلُـو مِنْ حُجَّـةٍ لله عَلَى خَلْقِـهِ إِلَى يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ وَأَنَّ مَنْ مَـاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانه مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»، فَقَالَ عليه السـلام: «إِنَّ هَذَا حَـقٌّ كَمَا أَنَّ النَّهَارَ حَـقٌّ»، فَقِيلَ لَهُ: يَابْنَ رَسُـولِ اللهِ فَمَنِ الْحُجَّةُ وَالْإِمَامُ بَعْدَكَ؟ فَقَالَ: «ابْنِي مُحَمَّدٌ هُـوَ الْإِمَـامُ وَ الْحُجَّةُ بَعْدِي مَـنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْـهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّـةً أَمَا إِنَّ لَـهُ غَيْبَةً يَحَارُ فِيهَا الْجَاهِلُـونَ وَيَهْلِكُ فِيهَا الْمُبْطِلُـونَ وَيَكْذِبُ فِيهَا الْوَقَّاتُونَ ثُـمَّ يَخْرُجُ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْأَعْـلَامِ الْبِيضِ تَخْفِقُ فَوْقَ رَأْسِـهِ بِنَجَـفِ الْكُوفَةِ». (كمال الدين:٢/ ٤١٠)

وعَـنْ عَبْـدِ اللهِ بْـنِ الْفَضْـلِ الْهَاشِـمِيِّ، عَنْ هِشَـامِ بْنِ سَـالِم، عَنِ الإمـام الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّـدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَـدِّه عليهم السـلام قَالَ: «قَالَ رَسُـولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «الْقَائِمُ مِنْ وُلْدِي اسْمُهُ اسْمِي وَكُنْيَتُهُ كُنْيَتِي وَشَمَائِلُهُ شَـمَائِلِي وَسُـنَّتُهُ سُـنَّتِي يُقِيمُ النَّاسَ عَلَى مِلَّتِي وَشَرِيعَتِي وَيَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِ رَبِّـي عَزَّ وَجَلَّ مَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَـاهُ فَقَدْ عَصَانِي وَمَنْ أَنْكَرَهُ فِي غَيْبَتِهِ فَقَدْ أَنْكَرَنِي وَمَـنْ كَذَّبَهُ فَقَـدْ كَذَّبَنِي وَمَنْ صَدَّقَهُ فَقَـدْ صَدَّقَنِي إِلَى اللهِ

أَشْكُو الْمُكَذِّبِينَ لي فِي أَمْرِهِ وَالْجَاحِدِينَ لقولي في شَأنه وَالْمُضلِّينَ لأُمَّتي عَنْ طَرِيقَتِه ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾». (كمال الدين:٢/٤١٢)

يستفاد من الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام أن لمعرفة الإمام المعصوم أهمية عظيمة وأنها أساس لمعرفة الله عز وجل، وأن طريق الهداية للحق والثبات على الصراط المستقيم لا يتم إلا بمعرفة الإمام المعصوم واقتفاء أثره والسير على خطاه والاستضاءة بنوره والثبات على ولايته.



وذلك بسبب الارتباط الذي بين المعصوم عليه السلام وبين النبي صلى الله عليه وآله ومن ثم بين الله سبحانه وتعالى، لأن المعصوم هو امتداد لخط النبي صلى الله عليه وآله، لذا على الأمة الإسلامية اتباع أهل البيت عليهم السلام وهم الأئمة الاثنا عشر من سلالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وذرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام.

فهناك لكل زمان إمام ولكل زمان وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فقد روي عن أبي هاشم عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ قَالَ: قَدِمَ يَهُودِيٌّ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله يُقَالُ لَهُ نَعْثَلٌ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ أَشْيَاءَ تَلَجْلَجُ فِي صَدْرِي مُنْذُ حِينٍ إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنِي أَسْلَمْتُ عَلَى يَدِكَ قَالَ: «سَلْ يَا أَبَا عُمَارَةَ»، قَالَ: ...يَا مُحَمَّدُ فَأَخْبِرْنِي عَنْ وَصِيِّكَ مَنْ هُوَ فَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَلَهُ وَصِيٌّ وَإِنَّ نَبِيَّنَا مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عليه السلام أَوْصَى إِلَى يُوشَعَ ابْنِ نُونٍ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «نَعَمْ إِنَّ وَصِيِّي وَالْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَبَعْدَهُ سِبْطَايَ الْحَسَنُ ثُمَّ الْحُسَيْنُ تَتْلُوهُ تِسْعَةٌ مِنْ صُلْبِ الْحُسَيْنِ أَئِمَّةٌ أَبْرَارٌ»، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَسَمِّهِمْ لِي، قَالَ: «نَعَمْ إِذَا مَضَى الْحُسَيْنُ فَابْنُهُ عَلِيٌّ فَإِذَا مَضَى عَلِيٌّ فَابْنُهُ مُحَمَّدٌ فَإِذَا مَضَى مُحَمَّدٌ فَابْنُهُ جَعْفَرٌ فَإِذَا مَضَى جَعْفَرٌ فَابْنُهُ مُوسَى وَ بَعْدَ مُوسَى عَلِيٌّ ابْنُهُ وَ بَعْدَ عَلِيٍّ مُحَمَّدٌ ابْنُهُ وَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ عَلِيٌّ ابْنُهُ وَ بَعْدَ عَلِيٍّ الْحَسَنُ ابْنُهُ وَ بَعْدَهُ الْحُجَّةُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فَهَؤُلَاءِ اثْنَا عَشَرَ أَئِمَّةً عَدَدَ نُقَبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ». (العدد القوية:٨٢)

فهنا بيّن بالقول الصريح أنّ أوصياءه بعدد نقباء بني إسرائيل وأنّ لكل نبي وصيّاً، فالوصاية التي بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله تكون في أهل بيته، وهم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام، الذي أوصى النبي صلى الله عليه وآله بمعرفتهم، وبمعرفتهم يكمل الدين ويتم النعمة، قال الله تعالى: ﴿ ...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾. (المائدة:٣)

فالجاهل بالإمام والجاهل بوصي رسول الله صلى الله عليه وآله هو كمن لم يكتمل دينه ولم يتم النعمة عليه لأن الإسلام هي النعمة الإلهية التي أنزلها الباري عز وجل على البشر وعلى الأمم، وإكمال الدين الإسلامي وإتمام هذه النعمة الإلهية هي بالوصاية الإلهية والخلافة الربانية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتمثلة بأمير المؤمنين عليه السلام سيد الوصيين وانتهاءً بالإمام الحجة المهدي المنتظر روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء.

فَعَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْمِقْدَامِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الباقر عليه السلام يَقُولُ: «إِنَّمَا يَعْرِفُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَعْبُدُهُ مَنْ عَرَفَ اللهَ وَعَرَفَ إِمَامَهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ وَمَنْ لا يَعْرِفِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلا يَعْرِفِ الْإِمَامَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ فَإِنَّمَا يَعْرِفُ وَيَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ هَكَذَا وَاللهِ ضَلَالاً». (الكافي:١/١٨١)

بقلم: محمد عبد الرزاق

الهجوم على دار الزهراء عليها السلام وما ترتب عليه

مضى أبو بكر وعمر وأبو عبيدة إلى سقيفة بني ساعدة، ولم يبق حول جثمان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ أقاربه ومواليه، وهم الذين تولوا غسله وتكفينه وإدخاله قبره ومواراته، وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعمه العباس رضي الله عنه وغيرهم من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله[١].

فارتفعت الأصوات في السقيفة وكثر اللغط بين المهاجرين والأنصار، ثم إن عمر بن الخطاب ضرب على يد أبي بكر فبايعه الناس، ثم أتوا به المسجد يبايعونه، فسمع علي عليه السلام والعباس التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

وكان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أن عليّاً عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٣]، فتخلّف قوم من المهاجرين والأنصار وجمهور الهاشميين عن بيعة أبي بكر، وكان منهم: العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير ابن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد ابن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبرّاء بن عازب، وأُبي بن كعب، وعتبة بن أبي لهب، وغيرهم[٤]، وروي أنّهم اجتمعوا على أن يبايعوا عليّاً عليه السلام[٥].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد اعتزل الناس بعد أن فرغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعكف على جمع القرآن الكريم بعهدٍ من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وروي أنّه عليه السلام



قال: «لا أرتدي حتى أجمعه»، وقالوا: إنّه لم يرتدِ إلاّ للصلاة حتى جمعه[٦].

وفي تلك الأثناء بلغ أبو بكر أن جماعة منهم العباس قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب عليه السلام في منزل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبعث إليهم عمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد في رجالٍ من الأنصار ونفر من المهاجرين أرسلهم أبو بكر ردءاً لهما، كزياد بن لبيد الأنصاري، وعبد الرحمن بن عوف، وأُسيد ابن حُضير، ومسلمة بن سلامة بن وقش، ومحمد بن مسلمة، وثابت بن قيس بن شماس الخزرجي، وسلمة بن أسلم[٧]، والمغيرة بن شعبة، وسالم مولى أبي حذيفة[٨].

فجاء عمر بن الخطاب فناداهم وهم في دار علي عليه السلام: لتخرجنّ إلى البيعة أو لأُحرقنّها على من فيها! فقيل له: يا أبا حفص؟ إنّ فيها فاطمة! فقال: وإن!![٩]

فلمّا سمعت فاطمة عليها السلام أصواتهم نادت بأعلى صوتها: «يا أبتِ يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة؟!» فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم[١٠]، فاقتحموا الدار، فصاحت فاطمة عليها السلام وناشدتهم الله[١١]، وجعلت تبكي وتصيح[١٢].

وخرج إليهم الزبير مصلتاً سيفه،

فاعتنقه زياد بن لبيد الأنصاري ورجل آخر، فندر السيف من يده، فضرب به عمر الحجر فكسره[١٣]، ثم أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقاً عنيفاً[١٤].

وروي أنّهم قالوا: ليس عندنا معصية ولا خلاف.. وإنما اجتمعنا لنؤلف القرآن في مصحف واحد، ثم بايعوا أبا بكر[١٥].

واجتمع الناس ينظرون، وامتلأت شوارع المدينة بالرجال، ورأت فاطمة عليها السلام ما صنع عمر، فصرخت وولولت، واجتمع معها نساء كثيرة من الهاشميات وغيرهنّ، فخرجت إلى بابها، وقالت: «يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله! والله لا أكلّم عمر حتى ألقى الله»[١٦].

وقالت عليها السلام: «لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله جنازةً بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا ولم تروا[١٧] لنا حقاً[١٨]، كأنكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خمّ، والله لقد عقد له يومئذ الولاء، ليقطع منكم بذلك منها الرجاء، ولكنكم قطعتم الأسباب بينكم وبين نبيكم، والله حسيب بيننا وبينكم في الدنيا والآخرة»[١٩].

وأخرجوا عليّاً عليه السلام ومضوا به إلى أبي بكر، فقال له عمر: بايع. فقال عليه السلام: «إن أنا لم أفعل فمه؟» قال عمر: إذن والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك! فقال: «إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله». قال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا[٢٠]، وأبو بكر ساكت. فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه[٢١].

ولم يبايع عليٌّ أبا بكر حتى ماتت فاطمة عليها السلام[٢٢].

آثار الهجوم على بيت الزهراء

اندفع القوم إلى بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يرعوا لها حرمة، ولا لأبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ذمّة، وقد رافق الهجوم على الدار بعض الأحداث المخالفة للشرع والدين والضمير والوجدان والأعراف والسجايا الإنسانية، وكلّها مصاديق تحكي قصة الانقلاب على الأعقاب والإحداث بعد غياب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ومن تلك الأحداث:

إحراق باب الدار

ثبت إحراق البيت المقدس من طرق الفريقين، فقد روي أنّهم جمعوا الحطب الجزل حول بيت الزهراء عليها السلام، وأضرموا النار في بابه، حتى أخذت النار في خشب الباب.[٢٣]

وروى الثقفي بالإسناد عن حمران بن أعين، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «والله ما بايع علي حتى رأى الدخان قد دخل بيته»[٢٤].

وقال المسعودي: فأقام أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه من شيعته في منزله بما عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فوجّهوا إلى منزله، فهجموا عليه وأحرقوا بابه، واستخرجوه منه كُرهاً[٢٥].

وقد بلغ من اشتهار هذا الأمر أن سجّله كثير من الشعراء منذ القرون الأولى وإلى اليوم، ومنهم عبد الله بن عمار البرقي (ت ٢٤٥ هـ) حيث قال:

وكلّا النار من نبت ومن حطب
والمضرمان لمن فيه يسبّان
وليس في البيت إلاّ كل طاهرة
من النساء وصدّيق وسبطان[٢٦]

وقال علاء الدين الحلي المقتول سنة (٧٨٦ هـ):

وأجمعوا الأمر فيما بينهم غوت
لهم أمانيهم والجهل والأملُ
أن يحرقوا منزل الزهراء فاطمة
فيالــه حــدث مستصعب جَلَلُ
بيت به خمسة جبريل سادسهم
من غير ما سبب بالنار يشتعلُ[٢٧]

وورود الأخبار بهذا المضمون من طرق العامة أيضاً، فقد ذكر السيد المرتضى رضي الله عنه أن خبر الإحراق قد رواه غير الشيعة ممن لا يتهم على القوم[٢٨]، وفي ما يلي بعض رواياتهم:

روى البلاذري عن سليمان التيمي وعبد الله بن عون أنهما قالا: إنّ أبا بكر أرسل إلى علي عليه السلام يريد البيعة، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقّته فاطمة عليها السلام على الباب، فقالت فاطمة عليها السلام: يا بن الخطاب، أتراك محرقاً عليّ بابي؟ قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك.(٢٩)

وذكر ابن عبد ربه الذين تخلفوا عن البيعة لأبي بكر: علي عليه السلام والعباس، والزبير، وسعد بن عبادة، قال: فأمّا علي عليه السلام والعباس والزبير، فقعدوا في بيت فاطمة حتى بعث إليهم أبو بكر عمر ابن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة عليها السلام، وقال له: إن أبوا فقاتلهم. فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة عليها السلام فقالت: يا بن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمّة.[٣٠]

وقد سجّل شاعر النيل حافظ إبراهيم هذه المكرمة لعمر بن الخطاب حيث قال:

وقولة لعلي قالها عمرُ
أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرقتُ دارك لا أبقي عليك بها
إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها
أمام فارس عدنان وحاميها[٣١]

وليته لم يَفُه بها، فإنّها كانت سُبّة له وموبقة عظيمة لا تفارقه أبداً، حتّى يلقى الله تعالى وبنت المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم غضبى عليه، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم حرب عليه، لأنّه صلى الله

عليه وآله وسلم حربٌ لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم.[٣٢]

وظنّ شاعر النيل أنّ ذلك كان من شجاعة عمر، وفات عنه أنه لم تثبت لعمر قدم في المقامات المشهورة كما لم تروَ له صولة ولم تعرف عنه جولة، فهو الذي عاد في خيبر يُجبّن أصحابه ويجبّنونه[٣٣]، فما كانت الراية والفتح وقتل صناديد الكفر لتليق إلاّ بمن يحبّ اللّه ورسوله ويحبّه اللّه ورسوله، الكرار غير الفرار، علي أمير المؤمنين عليه السلام.[٣٤]

كما فات عنه أنّ صبر أمير المؤمنين عليه السلام على القوم ما كان إلاّ بعهدٍ من رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم له بالصبر عند خذلان الأُمّة[٣٥]، وأنّه عليه السلام كان يقول واصفاً حاله بعد البيعة: «فنظرتُ فإذا ليس لي معين إلاّ أهل بيتي، فضننتُ بهم عن الموت، وأغضيتُ على القذى، وشربت على الشجا، وصبرت على أخذ الكظم وعلى أمرّ من طعم العلقم».[٣٦]

وقال عليه السلام: «وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرتُ وفي العين قذىً، وفي الحلق شجىً، أرى تراثي نهباً...».[٣٧]

فإنّه عليه السلام آثر بقاء الإسلام الذي نذر حياته وخاض الغمرات لأجله، فنراه في أحرج المواقف التي واجهته بعد البيعة كان يقول: «سلامة الدين أحبُّ إلينا من غيره».[٣٨]

---

١) الطبقات الكبرى | ابن سعد ٢ : ٢٧٧ . ٢٧٨ . والعقد الفريد | ابن عبد ربه ٣ : ٢٩٦ ، المكتبة التجارية ـ مصر . وتاريخ الإسلام | الذهبي ١ : ٥٧٥ ـ ٥٧٦ . وتاريخ الطبري ٣ : ٢١٣ .

٢) العقد الفريد | ابن عبد ربه ٥ : ١٠ ـ ١١ .

٣) الموفقيات | الزبير بن بكار : ٥٨٠ | ٣٨٠ عن محمد بن اسحاق . وتاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٤ . وشرح ابن أبي الحديد ٦ : ٢١ .

٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٤ . وتاريخ أبي الفداء ٢ : ٦٣ . وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ٤٩ .

٥) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٥٦ .

٦) انظر : الاتقان | السيوطي ١ : ٢٠٤ . والطبقات الكبرى | ابن سعد ٢ : ٣٣٨ . ومناهل العرفان ١ : ٢٤٧ . وكنز العمال ٢ : ٥٨٨ | ٤٧٩٢ . وشرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٧ و ٢ : ٥٦ .

٧) راجع : مستدرك الحاكم ٣ : ٦٦ . وسنن البيهقي ٨ : ١٥٢ . وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ٥٠ و ٥١ و ٥٦ و ٥٧ ، و ٦ : ١١ و ٤٧ و ٤٨ .

٨) الجمل | الشيخ المفيد : ١١٧ .

٩) الإمامة والسياسة | ابن قتيبة ١ : ١٢ .

١٠) الإمامة والسياسة | ابن قتيبة ١ : ١٣ . وأعلام النساء | كحالة ٤ : ١١٤ ـ ١١٥ .

١١) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٥٠ ، و ٦ : ٤٧ .

١٢) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٥٦ .

١٣) وفي رواية الطبري ٣ : ٢٠٢ أنّ الزبير عثر فسقط السيف من يده ، فوثبوا عليه فأخذوه . وروي أنّ الذي أخذ سيف الزبير وكسره هو محمد بن مسلمة . راجع مستدرك الحاكم ٣ : ٦٦ . وسنن البيهقي ٨ : ١٥٢ . وكنز العمال ٥ : ٥٩٧ . وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ٥١ ، و٦ : ٤٨ . وفي ج٦ ص١١ منه أنّه سلمة بن أسلم .

١٤) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٥٦ ، و٦ : ٤٨ .

١٥) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٥٦ .

١٦) السقيفة وفدك | الجوهري : ٧٣ . وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ٥٧ ، و٦ : ٤٩ .

١٧) في الإمامة والسياسة : ولم تردّوا .

١٨) الإمامة والسياسة ١ : ١٣ . والأمالي | الشيخ المفيد : ٤٩ | ٩ . والاحتجاج | الطبرسي : ٨٠ .

١٩) الاحتجاج | الطبرسي : ٨٠ .

٢٠) وهو ردّ على الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم فقد صحّ عنه صلى اللّه عليه وآله وسلم أنّه قال لعلي عليه السلام : « أنت أخي في الدنيا والآخرة » ، راجع : سنن الترمذي ٥ : ٦٣٦ | ٣٧٢٠ . ومسند أحمد ١ : ٢٣٠ . ومستدرك الحاكم ٣ : ١٤ . وقال صلى اللّه عليه وآله وسلم : « أنت أخي وأنا أخوك ، فإن ذاكرك أحد فقل : أنا عبد اللّه وأخو رسوله ، لايدّعيها بعدك إلاّ كاذب » ، راجع : فضائل الصحابة | أحمد بن حنبل ٢ : ٦١٧ | ١٠٥٥ . وتذكرة الخواص | سبط ابن الجوزي : ٢٢ .

٢١) الإمامة والسياسة | ابن قتيبة ١ : ١٣ . والآية من سورة الأعراف : ٧ | ١٥٠ .

٢٢) أنساب الأشراف | البلاذري ٢ : ٢٦٨ ، دار الفكر ـ بيروت.

٢٣) الهداية الكبرى | الخصيبي : ٤٠٧ . وبحار الأنوار ٤٣ : ١٩٧ | ٢٩ ، و ٥٣ : ١٨ .

٢٤) تلخيص الشافي | الطوسي ٣ : ٧٦ . وبحار الأنوار ٢٨ : ٣٩٠.

٢٥) إثبات الوصية | المسعودي : ١٢٤ ، المطبعة الحيدرية ـ النجف . وبحار الأنوار ٢٨ : ٣٠٨ | ٥٠ .

٢٦) الصراط المستقيم | البياضي ٣ : ١٣ .

٢٧) الغدير ٦ : ٣٩١ .

٢٨) الشافي | السيد المرتضى ٤ : ١١٩ .

٢٩) أنساب الأشراف ٢ : ٢٦٨ ، دار الفكر ـ بيروت . والشافي | السيد المرتضى ٣ : ٢٤١ . وتلخيص الشافي | الطوسي ٣ : ٦٧ .

٣٠) العقد الفريد | ابن عبد ربه ٥ : ١٢ . والمختصر في أخبار البشر | أبو الفداء ٢ : ٦٤ .

٣١) الديوان ١ : ٧٥ ، دار الكتب المصرية ـ القاهرة.

٣٢) سنن الترمذي ٥ : ٦٩٩ | ٣٨٧٠ . ومستدرك الحاكم ٣ : ١٤٩ . ومسند أحمد ٢ : ٤٤٢ . ومسند فاطمة عليها السلام | السيوطي : ٤٤ .

٣٣) مستدرك الحاكم ٣ : ٣٧ . وتاريخ الطبري ٣ : ١٢ .

٣٤) صحيح البخاري ٥ : ٨٧ | ١٩٧ و ١٩٨ ـ كتاب الفضائل ، و٥ : ٢٧٩ | ٢٣١ ـ كتاب المغازي . وصحيح مسلم ٤ : ١٨٧١ | ٣٢ ـ ٣٤ ـ كتاب الفضائل . ومسند أحمد ١ : ١٨٥ ، و٥ : ٣٥٨ . ومستدرك الحاكم ٣ : ١٠٩ .

٣٥) راجع : الاحتجاج | الطبرسي : ٧٥ .

٣٦) نهج البلاغة | صبحي الصالح : ٦٨ الخطبة ٢٦ .

٣٧) نهج البلاغة | صبحي الصالح : ٤٨ الخطبة ٣ .

٣٨) الموفقيات | الزبير بن بكار : ٥٨١ عن محمد بن إسحاق . وشرح ابن أبي الحديد ٦ : ٢١ .

بقلم: علي موسى الكعبي



محمد بن عثمان العمري رضوان الله تعالى عليه

محمد بن عثمان بن سعيد العمري الأسدي المُكنّى بأبي جعفر العسكري هو السفير الثاني وابن السفير الأول للإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وقد استلم النيابة بعد وفاة أبيه، عليهما رضوان الله تعالى.

له كتب مصنفة في الفقه جمع فيها أحاديث الإمام الحسن العسكري وإمام المهدي عليهما السلام وقد توفي سنة ٣٠٤ للهجرة.

وثاقته

وثقه ووثق أباه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وأخبر شيعته بأنه وكيل ابنه المهدي عليه السلام، فلما مات أبوه عثمان بن سعيد خرج توقيع الإمام الحجة عليه السلام يشتمل على تعزيته لوفاة أبيه وأنّه النائب بعده والمنصوب من قبله عليه السلام، وعبارة التوقيع على ما رواه الصدوق وغيره بهذا النصّ:

قال عليه السلام: «إنا لله وإنا إليه راجعون تسليماً لأمره ورضاء بقضائه، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه عليهم السلام، فلم يزل مجتهداً في أمرهم ساعياً فيما يقربه إلى الله عز وجل وإليهم، نضّر الله وجهه وأقاله عثرته... أجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء، رزئت ورزئنا وأوحشك بفراقه وأوحشنا، فسرّه الله في منقلبه، وكان من كمال سعادته أن رزقه الله عز وجل ولداً مثلك يخلفه من بعده ويقوم مقامه بأمره ويترحم عليه، وأقول: الحمد لله فإن الأنفس طيبة بمكانك وما جعله الله عز وجل فيك وعندك، أعانك الله وقوّاك وعضدك ووفّقك، وكان الله لك ولياً وحافظاً وراعياً وكافياً ومعيناً». (كمال الدين:٢/٥١٠)

وهذا التوقيع الشريف خير شاهد على جلالتهما وعلوّ مقامهما.

وروى العلامة المجلسي رحمه الله أيضاً في البحار عن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي رحمه الله عن جمع من الأصحاب أنّه خرج توقيع من الناحية المقدسة إلى محمد بن عثمان بن سعيد العمري بعد وفاة أبيه عثمان بن سعيد: «والابن وقاه الله لم يزل ثقتنا في حياة الأب رضي الله عنه وأرضاه ونضّر وجهه يجري عندنا مجراه ويسد مسدّه وعن أمرنا يأمر الابن وبه يعمل، تولاه الله...». (غيبة الطوسي:٣٦٢)

وفي رواية أخرى عن الكليني أنّه خرج التوقيع بخط الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف فيه: «وأما محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل، فإنه ثقتي وكتابه كتابي». (كمال الدين:٢/٤٨٥)

وظهرت على يده دلائل ومعاجز كثيرة للشيعة من قبل الإمام الحجة عجل الله فرجه، وكان في زمن الغيبة ملجأ ومأوى للشيعة.

وروي عن أم كلثوم ابنته أنها قالت: كان لأبي جعفر بن محمد ابن عثمان العمري كتب مصنفة في الفقه مما سمعها من أبي محمد الحسن عليه السلام ومن الصاحب عليه السلام... ثم قالت: إنها وصلت إلى أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه...(غيبة الطوسي:٣٦٣)

ترجمة محمد بن عثمان العمري وأحواله

ذكر أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري والقول فيه: فلما مضى أبو عمرو عثمان بن سعيد قام ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه بنص أبي محمد العسكري ونص أبيه عثمان عليه بأمر القائم.

عن عبد الله بن جعفر الحميري قال: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو عند أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري القمي فغمزني أحمد بن إسحاق أن أسأله عن الخلف، فقلت له: يا أبا عمرو إني أريد أن أسألك وما أنا بشاك فيما أريد أن أسألك عنه فإن اعتقادي وديني أن الأرض لا تخلو من حجة إلا إذا كان قبل القيامة بأربعين يوماً فإذا كان ذلك رفعت الحجة وغلق باب التوبة، فلم يكن ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، فأولئك أشرار من خلق الله عز وجل، وهم الذين تقوم عليهم القيامة.

ولكن أحببت أن أزداد يقيناً فإن إبراهيم سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، فقال: أو لم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي، وقد أخبرني أحمد بن إسحاق أبو علي، عن أبي الحسن قال: سألته فقلت له: من أعامل؟ وعمن آخذ؟ وقول من أقبل؟ فقال له: «العمري ثقتي فما أدى إليك فعني يؤدي وما قال لك فعني»، يقول: «فاسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون».

قال: وأخبرني أبو علي أنه سأل أبا محمد الحسن بن علي عن مثل ذلك فقال له: العمري وابنه ثقتان فما أديا إليك فعني يؤديان وما قالا لك فعني يقولان فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان.

فهذا قول إمامين قد مضيا فيك قال: فخر أبو عمرو ساجداً وبكى ثم قال: سل.

فقلت له : أنت رأيت الخلف من أبي محمد فقال: أي والله ورقبته مثل ذا وأومأ بيديه، فقلت له: فبقيت واحدة فقال لي: هات، قلت: فالاسم قال: محرم عليكم أن تسألوا عن ذلك ولا أقول هذا من عندي وليس لي أن أحلل وأحرم ولكن عنه فإن الأمر عند السلطان أن أبا محمد مضى ولم يخلف ولداً وقسم ميراثه وأخذه من لا حق له، وصبر على ذلك، وهو ذا عياله يجولون وليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم أو ينيلهم شيئاً، وإذا وقع الاسم وقع الطلب فاتقوا الله وأمسكوا عن ذلك. (الكافي:١/٣٣٠)

وجاء في غيبة الشيخ الطوسي، محمد بن همام قال: قال لي عبد الله جعفر الحميري: لما مضى أبو عمرو رضي الله عنه أتتنا الكتب بالخط الذي كنا نكاتب به بإقامة أبي جعفر رضي الله عنه مقامه.(غيبة الطوسي:٣٦٢)



فعن محمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي أنه خرج إليه بعد وفاة أبي عمرو: والابن وقاه الله لم يزل ثقتنا في حياة الأب رضي الله عنه وأرضاه ونضر وجهه، يجري عندنا مجراه، ويسد مسدّه وعن أمرنا يأمر الابن، وبه يعمل تولاه الله فانته إلى قوله، وعرف معاملتنا ذلك.(بحار الأنوار:٥١/٣٥٠)

وعن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علي فوقع التوقيع بخط مولانا صاحب الدار: وأما محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل فإنه ثقتي وكتابه كتابي.(عيون أخبار الرضا عليه السلام:١/٢١)

وجاء في غيبة الشيخ الطوسي، عن هبة الله بن محمد ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري رضي الله عنه، عن

شيوخه قالوا: لم تزل الشيعة مقيمة على عدالة عثمان بن سعيد رحمه الله وغسله ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان وتولى القيام به وجعل الأمر كله مردوداً إليه، والشيعة مجمعة على عدالته وثقته وأمانته، لما تقدم له من النص عليه بالأمانة والعدالة، والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن وبعد موته في حياة أبيه عثمان بن سعيد، لا يختلف في عدالته، ولا يرتاب بأمانته، و التوقيعات تخرج على يده إلى الشيعة في المهمات طول حياته بالخط الذي كانت تخرج في حياة أبيه عثمان، لا يعرف الشيعة في هذا الأمر غيره، ولا يرجع إلى أحد سواه، وقد نقلت عنه دلائل كثيرة، ومعجزات الإمام عليه السلام (التي) ظهرت على يده، وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم في هذا الأمر بصيرة، وهي مشهورة عند الشيعة.(غيبة الطوسي:٣٦٤)

قال ابن نوح: أخبرني أبو نصر هبة الله ابن بنت (أم) كلثوم بنت أبي جعفر العمري قال: كان لأبي جعفر محمد بن عثمان العمري كتب مصنفة في الفقه مما سمعها من أبي محمد الحسن ومن الصاحب ومن أبيه عثمان بن سعيد، عن أبي محمد وعن أبيه علي بن محمد فيها كتب ترجمتها كتب الأشربة ذكرت الكبيرة أم كلثوم بنت أبي جعفر رضي الله عنها أنها وصلت إلى أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه عند الوصية إليه، وكانت في يده، قال أبو نصر: وأظنها قالت: وصلت بعد ذلك إلى أبي الحسن السمري رضي الله عنه وأرضاه.(غيبة الطوسي)

قال أبو جعفر بن بابويه: روى محمد بن عثمان العمري قدس الله روحه أنه قال: والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه.(من لا يحضره الفقيه:٥٢٠/٢)

وعن عبد الله بن جعفر الحميري أنه قال: سألت محمد بن عثمان رضي الله عنه فقلت له: رأيت صاحب هذا الأمر؟ قال: نعم، و آخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني».(كمال الدين:٤٤٠/٢)

قال محمد بن عثمان رضي الله عنه: ورأيته صلوات الله عليه متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: «اللهم انتقم بي من أعدائك».(من لا يحضره الفقيه:٥٢٠/٢)

وعن علي بن صدقة القمي قال: خرج إلى محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه ابتداء من غير مسألة ليخبر الذين يسألون عن الاسم: «إما السكوت والجنة وإما الكلام والنار فإنهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه وإن وقفوا على المكان دلوا عليه».(غيبة الطوسي:٣٦٤)

قال ابن نوح: حدثني أبو الحسن علي بن أحمد الدلال القمي قال: دخلت على أبي جعفر محمد بن عثمان رضي الله عنه يوما لأسلم عليه، فوجدته وبين يديه ساجة ونقاش ينقش عليها ويكتب آياً من القرآن وأسماء الأئمة على حواشيها فقلت له: يا سيدي ما هذه الساجة؟ فقال لي: هذه لقبري تكون فيه أوضع عليها أو قال: أسند إليها وقد عزفت منه، وأنا في كل يوم أنزل فيه فأقرأ جزءاً من القرآن فأصعد وأظنه قال: فأخذ بيدي وأرانيه فإذا كان يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا صرت إلى الله عز وجل ودفنت فيه وهذه الساجة معي، فلما خرجت من عنده أثبت ما ذكره ولم أزل مترقباً به ذلك فما تأخر الأمر حتى اعتل أبو جعفر فمات في اليوم الذي ذكره من الشهر الذي قاله من السنة التي ذكرها ودفن فيه.(غيبة الطوسي:٣٦٥)

قال أبو نصر هبة الله: وقد سمعت هذا الحديث من غير أبي علي وحدثتني به أيضاً أم كلثوم بنت أبي جعفر رضي الله عنها وأخبرني جماعة، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه قال: حدثني محمد بن الأسود القمي أن أبا جعفر العمري قدس الله روحه حفر لنفسه قبراً وسواه بالساج فسألته عن ذلك فقال: للناس أسباب، ثم سألته عن ذلك فقال: قد أمرت أن أجمع أمري، فمات بعد ذلك بشهرين رضي الله عنه وأرضاه. (كمال الدين:٥٠٢/٢)

وقال الشيخ الطوسي: قال أبو نصر هبة الله: وجدت بخط أبي غالب الزراري رحمه الله وغفر له أن أبا جعفر محمد بن عثمان العمري رحمه الله مات في آخر جمادى الأولى سنة خمس وثلاث مائة وذكر أبو نصر هبة الله بن محمد بن أحمد أن أبا جعفر العمري رحمه الله مات في سنة أربع وثلاث مائة وأنه كان يتولى هذا الأمر نحواً من خمسين سنة فيحمل الناس إليه أموالهم، ويخرج إليهم التوقيعات بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن إليهم بالمهمات في أمر الدين والدنيا وفيما يسألونه من المسائل بالأجوبة العجيبة رضي الله عنه وأرضاه.(غيبة الطوسي:٣٦٦)

وقال أبو نصر هبة الله: إن قبر أبي جعفر محمد بن عثمان عند والدته في شارع باب الكوفة في الموضع الذي كانت دوره ومنازله وهو الآن في وسط الصحراء قدس الله روحه.(بحار الأنوار:٣٥٢/٥١)

فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً

بقلم: فاضل محمد

مع شيخ البطحاء

بقي محمّـد لجدّه الذي وأى على نفسـه أن يأخذ بيده إلى حياض الخير وينابيع النعمة، فينهل منها السـراء، وينسـى مصابـه، وتسـدّ عليـه كل كـوى الشـعور باليتم والغربـة والحرمان، فلم يزَل معه يقرّبه ويدنيه، ويعظّمه ويطريـه، ويضمّه حفياً به إلى صدره، ويضعه محبوراً به في حجـره، ولا يـأكل الطعـام قبلـه، ولا يتركـه في خلوة وحيـداً، وينام حتى يعوده مراراً تحسّـباً لأذى يلمّ به، أو حاجـة يشـتهيها، وإذا ما تصـدّر عبد المطلب مجلسـه، وأحاط به القوم، دعاه فأجلسـه بين يديه، ولم يفتأ يملأ أسـماعهم بإشادته، به، وتعظيمه لشـأنه، ولطالما تشدد علـى بنيه بالوصية به، والإحسـان إليـه، والعطف عليه، ليتمـه بأبيه، وفقده أمه، ولأمـره الكبير المرتقب.

عند صبيحة يوم وقد رأى سـيد قريشـ في الليل قبلها رؤيا عـرف معناها وأدرك مغزاها، وقـد جرّت باله إلى أيام قريبة وقع له فيها أمر فيه بعض تفسير رؤياه، ومنه انطلـق بذهنه اللماح ينسـج خيوط التفسـير كلّه، تعينه مقولات العارفين، دعـا عبد المطلب بنيه إلى أن يجتمعوا عنده ليقصّ عليهم أمراً لابدّ أن يعرفوه، فأبداها كلمات لها ثقل وجلال.

رأيـت البارحـة وأنـا نائـم في الحجـر، كأنّ شـجرة نبتت قد نال رأسـها لسـماء، وضربت بأعناقها المشـرق والمغـرب، ومـا رأيـت نـوراً أزهى منهـا أعظم مـن نور الشمسـ سـبعين ضعفاً، ورأيت العرب والعجم ساجدين

لها، وهي تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعاً، وساعة تختفي، وساعة تزهر، ورأيت رهطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها، فإذا دنوا منها أخرهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهاً، ولا أطيب منه ريحاً، فيكسر ظهورهم، ويقلع أعينهم.

ولم ينس أن يشير إلى بعض معناها فقال لهم:

إنّ من صلبي نبياً، لوددت أنّي أدركت ذلك فآمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به.

ثم راح يقص عليهم ما حدث له في تلك الأيام ممّا يمت إلى رؤياه بصلة وثيقة، عندما مضى في ركب من قريش إلى (الملك الحميري سيف بن ذي يزن) يهنّئه برجوع الملك إليه، ويمدحه على حسن بلائه، وإذ يختلي به سيف يفضي إليه:

يا عبد المطلب إني مفض إليك من سرّ علمي ما لو يكون غيرك لم أبح به... إنّي أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا، واحتجبناه دون غيرنا، خبراً عظيماً، وخطراً جسيماً، من شرف الحياة وفضيلة الوفاة، للناس عامة، ولرهطك كافة، ولك خاصة.

ويمور في الشيخ شوقه إلى أن يعجل سيف في كشف الستر عن هذا الأمر، فقد ملك عليه به قلبه، وأجّج بالدهشة روحه ولبّه:

يا أيها الملك مثل من سرّ وبرّ، فما هو؟

إذا ولد بتهامة غلام به علامة، بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة، هذا حينه الذي يولد فيه ولقد وُلِدَ، وسامه محمّد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جدّه وعمّه، يكسر الأوثان، ويخمد النيران، ويعبد الرحمن، ويدحر الشيطان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.

وكأنّ الأيام لم تطق أن ترى محمّداً ينعم في كنف جدّه بالخير والهناء، وقد آلت إلاّ أن تريه كل مكروه، وتناله بكل سوء، فعزمت على أن تبطش بالجدّ الطيّب وتفتك به، وتحرم محمّداً من رعايته وأخذه بيده، كما حرمته

منهما من أبيه وأمه، لتتركه وحيداً في ساحة المكرمات، يصنع مجده بيده، ويرتقي مراقي العلى بنفسه، وليس ثمة من يدفعه إلى ذلك أو يدلّه عليه إلاّ مدبّر الأمور من خلف الستور، فما دام له به شأن عظيم وغاية جليلة، فهو سيصبّره كاهلاً متيناً لأعباء المرام الجليل، وحادياً أميناً لركب المنشود الجسيم.

وكان للمقادير ما رامت، وها هو عبد المطلب يسلّم إلى ربّه روحه بعد ما كان قد ملأ سمع ابنه أبي طالب، الشهم في بنيه، والماجد في قومه، بوصيته بمحمّد، لقد دعاه أبوه إليه وأدناه منه وهو في غمرة مذهلة من النزع، ومضى يتلو عليه وصيته بصوت ناكس وكلمة كليلة:

أنظر يا أبا طالب أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه، ولم يذق شفقة أمه، أنظر أن يكون من جسدك بمنزلة كبدك، فإنّي قد تركت بنيّ كلهم، وخصصتك به لأنّك من أم أبيه، يا أبا طالب إن أدركت أيامه تعلم أنّي كنت أبصر الناس به، وأعلم الناس به، فإن استطعت أن تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنّه والله سيسودكم، هل قبلت؟

ويرى الابن أباه ينوء بثقل همّ كبير يشدّد عليه وطأة الموت الذي أوشك أن يأتي على آخر فتيل عنده من الحياة، ويراه حين يلقي عليه وصيته المهيبة كأنّما يقلع كلماتها من صخر، فلقد أرهقه همّه بما سيؤول إليه حال محمّد عند سواه، ويسجيه العيشة التي سيكون عليها لدى غيره، وأدرك أبو طالب أنّ والده يود أن يسمع منه كلمته واضحة بيّنة، صادقة جازمة، يعلمه بها أنّه سيسير مع محمّد بعده على النهج الذي دلّه عليه أبوه وإن شقّ المسار، وحفّت به المتاعب والمصاعب، ويطلقها أبو طالب تفوح بالصدق والحزم، وتمور باليقين والوفاء:

قد فعلت، والله على ذلك شاهد.

وعندها وجد الشيخ غاية مرامه، وانحدرت فلول تهمامه أمام شموخ هذه الكلمة وجلالها في نفسه، ويبتسم لابنه عن ثغر مرتجف، وينضح ماء البشر من وجهه المتهلل، ويقولها مليئة بنشوة راحته واطمئنانه:

الآن خُفّف عليّ الموت.

بقلم: السيد فاضل الموسوي

ما معنى معرفة الإمام المعصوم حق معرفته؟

لمّا كان هناك أهمية كبرى لمعرفة الإمام.. فليس المراد من المعرفة هو معرفة اسمه ونسبه فقط...! بل يتحتم أن يكون المقصود بالمعرفة شيئاً آخر أكبر من ذلك بكثير وأكثر أهمية وأعظم خطراً.

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «... وَأَدْنَى مَعْرِفَةِ الإِمَامِ أَنهُ عِدْلُ النَّبِيِ إِلاَّ دَرَجَةَ النُّبُوَّةِ وَوَارِثُهُ، وَأَنَّ طَاعَتَهُ طَاعَةُ اللهِ وَطَاعَةُ رَسُولِ اللهِ، وَالتَّسْلِيمُ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَالرَّدُّ إِلَيْهِ وَالأَخْذُ بِقَوْلِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الإِمَامَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب، ثُمَّ الْحَسَنُ ثُمَّ الْحُسَيْنُ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيّ، ثُمَّ أنا ثُمَّ، مِنْ بَعْدِي مُوسَى ابْنِي، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ عَلِيٌّ، وَبَعْدَ عَلِيّ مُحَمَّدٌ ابْنُهُ، وَبَعْدَ مُحَمَّد عَلِيٌّ ابْنُهُ، وَبَعْدَ عَلِيّ الْحَسَنُ ابْنُهُ، وَالْحُجَّةُ مِنْ وُلْدِ الْحَسَنِ...».(كفاية الأثر:٢٦٣)

فهناك مجموعة من الصفات للوصي ولخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي نصّ عليه الإمام الصادق عليه السلام؛ وهي كما أشار عليه السلام هي أدنى معرفة الإمام، حيث على المؤمنين أن يعرفوا الإمام بهذه الخصال.

قال عليه السلام: «وأدنى معرفة الإمام أنه عدل النبي إلاّ درجة النبوة»؛ حينما يريد الإنسان أن يرتقي سلماً أو يصعد إلى مكان ما فعليه أن يأتي بالمرحلة الأولى من أقل منطقة في السلم، وهي الدرجة الأولى، فهذه تطلق عليه أدنى مكان من السلم.

فالإمام عليه السلام يرشد المؤمن إلى أنّ أول درجة لمعرفة الإمام هي أدنى مرحلة في المعرفة وهي المرحلة الأولى أنّه الإمام المعصوم والخليفة المنصوص من رب العباد هو عِدل

النبي صلى الله عليه وآله أي نظير وشبيه ومثل النبي صلى الله عليه وآله في جميع الصفات والخصائص والموارد التي خصّه الله تعالى بها.

وقال عليه السلام: «إلاّ درجة النبوة»؛ هنا يتطرّق الإمام عليه السلام إلى قضية الاختلاف بين النبوة والإمامة، أي أنّ درجة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هي من أعلى الدرجات وأعلى المنازل التي خصّه الله تعالى، وأول ما خلق الله في الكون قبل أن يخلق كل شيء بآلاف السنين هو نور نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد في الحديث الشريف، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أوّل شَيْءٍ خَلَقَ الله تَعَالَى مَا هُوَ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «نُورُ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ، خَلَقَهُ الله ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ كُلَّ خَيْرٍ، ثُمَّ أَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي مَقَامِ الْقُرْبِ مَا شَاءَ الله؛ ثُمَّ جَعَلَهُ أَقْسَاماً، فَخَلَقَ الْعَرْشَ مِنْ قِسْمٍ، وَالْكُرْسِيَّ مِنْ قِسْمٍ، وَحَمَلَةَ الْعَرْشِ وَخَزَنَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ قِسْمٍ، وَأَقَامَ الْقِسْمَ الرَّابِعَ فِي مَقَامِ الْحُبِّ مَا شَاءَ الله؛ ثُمَّ جَعَلَهُ أَقْسَاماً، فَخَلَقَ الْقَلَمَ مِنْ قِسْمٍ، وَاللَّوْحَ مِنْ قِسْمٍ، وَالْجَنَّةَ مِنْ قِسْمٍ، وَأَقَامَ الْقِسْمَ الرَّابِعَ فِي مَقَامِ الْخَوْفِ مَا شَاءَ الله؛ ثُمَّ جَعَلَهُ أَجْزَاءً فَخَلَقَ الْمَلَائِكَةَ مِنْ جُزْءٍ، وَالشَّمْسَ مِنْ جُزْءٍ، وَالْقَمَرَ، وَالْكَوَاكِبَ مِنْ جُزْءٍ، وَأَقَامَ الْقِسْمَ الرَّابِعَ فِي مَقَامِ الرَّجَاءِ مَا شَاءَ الله؛ ثُمَّ جَعَلَهُ أَجْزَاءً فَخَلَقَ الْعَقْلَ مِنْ جُزْءٍ، وَالْعِلْمَ وَالْحِلْمَ مِنْ جُزْءٍ، وَالْعِصْمَةَ وَالتَّوْفِيقَ مِنْ جُزْءٍ، وَأَقَامَ الْقِسْمَ الرَّابِعَ فِي مَقَامِ الْحَيَاءِ مَا شَاءَ الله؛ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْهَيْبَةِ فَرَشَحَ ذَلِكَ النُّورُ، وَقَطَرَتْ مِنْهُ مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ قَطْرَةٍ، فَخَلَقَ الله مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ رُوحَ نَبِيٍّ وَرَسُولٍ؛ ثُمَّ تَنَفَّسَتْ أَرْوَاحُ الْأَنْبِيَاءِ فَخَلَقَ الله مِنْ أَنْفَاسِهَا أَرْوَاحَ الْأَوْلِيَاءِ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ». (بحار الأنوار:٢٥/٢٢)

فإن منزلة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هي أعظم المنازل لأنه سيد البشر وسيد الخلق أجمعين من الإنس والجن من الأولين والآخرين، فكيف لا يكون كذلك وهو سيد ولد آدم في قوله صلى الله عليه وآله: «...أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ». (صحيفة الإمام الرضا عليه السلام:٥٢)

هناك حكمة إلهية على أن يجعل منزلة النبي صلى الله عليه وآله أعلى المنازل في الدارين لأنّ الله تعالى خلق كل شيء في الدارين من الجن والإنس والملائكة والكون والأفلاك والعرش والكرسي و... من نور النبي صلى الله عليه وآله كما بيّنه صلى الله عليه وآله في الحديث السابق.

فالإمام المعصوم هو نفس النبي صلى الله عليه وآله إلا أنه ليس بمنزلة النبي، بل هو نظير النبي ومثله ويقوم مقامه، وعليه مسؤوليات تجاه هذه الأمة ألا وهي هداية الناس إلى الرشاد وبيان الشريعة السماوية التي وكلّها الله تعالى له.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «... وَوَارِثُهُ...»، أي إن الإمام عليه السلام هو وارث النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما نقرأ في الزيارات المعروفة كزيارة وارث «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله السلام عليك يا وارث نوح نبي الله..... السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله»، فالإمام المعصوم هو وارث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أولاً: لأنّه من أهل بيته عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ...﴾. (النمل:١٦)

فإذا نظرنا من الناحية النسبية ومن الناحية العائلية فالإمام المعصوم هو من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو أحق أن يرث جدّه كما ورث سليمان داود.

ثانياً: وراثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليست كوراثة باقي البشر وراثة عادية، لأنّ ارتباط النبي صلى الله عليه وآله مع الله تعالى يجعله في درجة ومنزلة حيث يكون ما يرثه ذريته من بعده تكون في الاتجاه نفسه.

أي بمعنى أن الارتباط الذي كان بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين الله عزّ وجل هو نفس الارتباط الذي بين المعصوم وبين الله تعالى، لذا يجب أن تكون وراثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للأصفياء من أهل بيته والمصطفين من ذريته الأئمة الأطهار المعصومين عليهم أفضل الصلاة والسلام؛ فما كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو أيضاً للإمام المعصوم من بعده.



ثالثاً: لمّا كان الإمام المعصوم هو نظير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقوم مقام النبي في أمته فعليه أن يرث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكي تجري الأمور على ما أراده الله تعالى بواسطة الإمام المعصوم النائب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الأرض.

وقال عليه السلام: «...وَأَنَّ طَاعَتَهُ طَاعَةُ اللهِ وَطَاعَةُ رَسُولِ اللهِ...»؛ فإنّ إطاعة الله تعالى مرتبط بإطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وإطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو ملازم بإطاعة الإمام المعصوم من بعده أي خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

من واجبات إطاعة الله تعالى هي عدم الخروج عمّا يأتي به سبحانه، فهو الذي أمر باتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأيضاً باتباع الإمام المعصوم خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فهناك تلازم بين إطاعة الله وإطاعة الإمام عليه السلام، فالإطاعة تشمل عدم المعصية بما يأمره الإمام المعصوم لأن أمره أمر الله بقرينة ارتباطه المباشر مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن ارتباطه مع الله تعالى.

فإذا كان هناك نهيٌّ من المعصوم في أمر ما أو أمر منه في غيره فعلى من يريد رضا الله أن يرضى بما يأمره الإمام، وذلك قوله تعالى: ﴿ يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأولِي الأَمْرِ مِنْكُم... ﴾. (النساء:٥٩)

فالله تعالى جعل بين إطاعته وإطاعة الإمام ارتباطاً وثيقاً وملازماً بأن ليس هناك إطاعة لله إلا بإطاعة الإمام المعصوم من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال عليه السلام: «...وَالتَّسْلِيمُ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَالرَّدُّ إِلَيْهِ وَالأَخْذُ بِقَوْلِهِ،...»؛ فإنّ من واجبات معرفة الإمام هو التسليم له في كل أمر من أمور الدنيا والآخرة.

إنّ الله تعالى يصف الإنسان في القرآن الكريم فيقول: ﴿خُلِقَ الإِنْسانُ ضَعيفا ﴾. (النساء:٢٨)

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعا ﴾. (المعارج:١٩)

وقوله تعالى: ﴿ خُلِقَ الإِنْسانُ مِنْ عَجَل ﴾. (الأنبياء:٣٧)

فإنّ الإنسان المخلوق الذي عبّر عنه القرآن الكريم بأنه ضعيف وهلوع وعجول و... إذا أراد أن يصل إلى إطاعة الله تعالى فلا يستطيع إلاّ بالوسائل والوسائط؛ إنّ الله تعالى بما أنّه خالق الكون والمتعالي والرحمن الرحيم، ألزم على أنّ يجعل هناك وسائل وحلقة ارتباط بينه وبين عبده.

فهذه الحلقة كانت من آدم على نبينا وآله وعليه السلام وحتى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي تمثّلت بالأنبياء وأوصيائهم وبالرسل وأعوانهم؛ فقد أرسل الله تعالى ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً ومائة وأربعة وعشرين ألف نبيٍّ لهداية الناس، وجعلهم حلقة الارتباط بينه وبين العباد.

فلمّا كان لكل نبيّ وصي وخليفة ووزير، فمن الضروري أن يكون للنبي محمد صلى الله عليه وآله الذي هو خاتم

الأنبياء وخاتم الرسل وهو أشرف المخلوقات وسيد البشر وصيٌّ ووزيرٌ وعونٌ وناصرٌ، والأهم من ذلك يجب أن يكون من أهل بيته ومن خاصّته.

إذا نظرنا إلى القرآن الكريم نرى أنّ لكل نبي وصياً ووزيراً وعوناً وناصراً، وبالإمعان نرى أن هذا الوصي أو الوزير هو من بيت نفس النبي والرسول.

فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيّه كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ووصي أمير المؤمنين كان الحسن عليه السلام ووصي الحسن عليه السلام الحسين ووصي الحسين ابنه علي زين العابدين ووصي علي محمد الباقر ووصي محمد جعفر الصادق ووصي جعفر موسى ابنه ووصي موسى علي ووصي علي محمد ووصي محمد علي ووصي علي الحسن ووصي الحسن الحجة المهدي بن الحسن المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فهؤلاء أوصياء ووزراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أعطاهم الله تعالى مسؤوليات في أزمانهم إلى يومنا هذا.

فالتسليم هو التَّخَلِّي عَن جميع الأمور المتعلقة بالإنسان إلا بأمر الإمام المعصوم كما بيّنه الإمام الصادق عليه السلام في حديثه الشريف؛ فإذا أراد الإنسان أن يعرف إمام زمانه حق معرفته من شروطه أن يتخلى عن جميع المتعلقات الدنيوية كالأهل والأولاد والحياة والرفاهية ويخضع لما يأمره الإمام المعصوم في جميع جوانب حياته الدنيوية والأخروية.

أي بمعنى أنّه كل شيء بيد الإمام المعصوم عليه السلام فضلاً عن أنّه بيد جدّه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى المؤمن أن يسلّم بما يقدّره الإمام وما يأمره به أو ينهاه عنه.

ومن المفترض أن الإنسان يكون من الانقياديين بلا مقاومة أمام أمر المعصوم لأنه ولي الأمر من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما جاء في قوله تعالى: ﴿...أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾.

فالتسليم يجب أن يكون عملياً وليس فقط لفظياً، أي أنّ المؤمن عليه أن يتخلّى عن جميع الأعمال التي يقوم بها إلا ما يأمره المعصوم وأن يتّبع أقوال الإمام المعصوم في أموره الدنيوية والمعيشية والحياتية سواء كانت مع أهله وعياله أو مع أولاده أو مع أصدقائه أو في المجتمع مع الآخرين.

ولا يخفى على المؤمن الفطن أنّ الشريعة الإسلامية المتمثلة بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والذي أطّره صلى الله عليه وآله بالقرآن الكريم والإمام المعصوم قد جعل لكل الأمور الدنيوية والأخروية حلولاً وجعل لكل مسألة ولكل مشكلة جواباً وحلاً مناسباً مع وضع المجتمع.

فإنّ الإنسان عليه أن يرجع في جميع أموره إلى الإمام المعصوم عليه السلام ليرى ما رأي الإمام في العمل الذي يقوم به أو في القول الذي يريد أن يلقيه، أو في الأفكار التي يطرحها، فرأي المعصوم والرجوع إلى رأي المعصوم هي من إحدى الضرورات التي تساعد على معرفة الإمام حق معرفته.

وقال عليه السلام: «...وَيَعْلَمُ أَنَّ الإِمَامَ بَعْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب، ثُمَّ الْحَسَنُ ثُمَّ الْحُسَيْنُ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْن، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيّ، ثُمَّ أنا ثُمَّ، مِنْ بَعْدِي مُوسَى ابْنِي، ثُمَّ مِنْ بَعْدِه وَلَدُهُ عَلِيٌّ، وَبَعْدَ عَلِيّ مُحَمَّدٌ ابْنُهُ، وَبَعْدَ مُحَمَّد عَلِيٌّ ابْنُهُ، وَبَعْدَ عَلِيّ الْحَسَنُ ابْنُهُ، وَالْحُجَّةُ مِنْ وُلْدِ الْحَسَنِ...».

لقد أراد الإمام الصادق عليه السلام أن يبيّن مدى أهمية الأصل الرابع من أصول الدين ألا وهو (الإمامة)، إنّ الاعتقاد بالإمامة هو أحد أهم أصل من أصول الدين، لأن أصول الدين هي الأساس والركائز التي يستطيع الإنسان أن يبني دينه ودنياه عليها وهي: (التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد).

فالأصل الرابع هو الإمامة والاعتقاد بالإمامة هي من ضرورات الدين الإسلامي، فلا يجوز للإنسان أن يقلد أحداً في هذا الأصل وباقي الأصول الأربعة.

بقلم: محمد جواد محمد

احتجاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اليهود

جواز نسخ الشرائع

قال أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام: «لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة أمره الله تعالى أن يتوجه نحو بيت المقدس في صلاته ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن وإذا لم يمكن استقبل بيت المقدس كيف كان، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل ذلك طول مقامه بها ثلاث عشرة سنة، فلما كان بالمدينة وكان متعبداً باستقبال بيت المقدس استقبله وانحرف عن الكعبة سبعة عشر شهراً أو ستة عشر شهراً، وجعل قوم من مردة اليهود يقولون: والله ما درى محمد كيف يصلي حتى صار يتوجه إلى قبلتنا ويأخذ في صلاته بهدينا ونسكنا.

فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله لما اتصل به عنهم وكره قبلتهم وأحب الكعبة فجاءه جبرائيل عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرائيل لوددت لو صرفني الله عن بيت المقدس إلى الكعبة فقد تأذيت بما يتصل بي من قبل اليهود من قبلتهم، فقال جبرائيل عليه السلام: فاسأل ربك أن يحولك إليها فإنه لا يردك عن طلبتك ولا يخيبك من بغيتك.

فلما استتم دعاءه صعد جبرائيل ثم عاد من ساعته فقال: اقرأ يا محمد ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾. (البقرة:١٤٤)

فقال اليهود عند ذلك: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأجابهم الله أحسن جواب فقال ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ وهو يملكهما وتكليفه التحويل إلى جانب كتحويله لكم إلى جانب آخر ﴿يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾». (البقرة:١٤٢)

وهو أعلم بمصلحتهم وتؤديهم طاعتهم إلى جنات النعيم.

قال أبو محمد عليه السلام: «وجاء قوم من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا:

يا محمد هذه القبلة بيت المقدس قد صليت إليها أربع عشرة سنة ثم تركتها الآن، أفحقاً كان ما كنت عليه فقد تركته إلى باطل فإن ما يخالف الحق باطل، أو باطلا كان ذلك فقد كنت عليه طول هذه المدة فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل ذلك كان حقاً وهذا حق، يقول الله ﴿قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾. (البقرة:١٤٢)

إذا عرف صلاحكم أيها العباد في استقبالكم المشرق أمركم به، وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به، وإن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به، فلا تنكروا تدبير الله في عباده وقصده إلى مصالحكم.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد تركتم العمل يوم السبت ثم عملتم بعده سائر الأيام، ثم تركتموه في السبت ثم عملتم بعده، أفتركتم الحق إلى الباطل أو الباطل إلى الحق أو الباطل إلى الباطل أو الحق إلى الحق؟ قولوا كيف شئتم فهو قول محمد وجوابه لكم.

قالوا: بل ترك العمل في السبت حق والعمل بعده حق.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فكذلك قبلة بيت المقدس في وقته حق ثم قبلة الكعبة في وقته حق.

فقالوا له: يا محمد أفبدا لربك فيما كان أمرك به بزعمك من الصلاة إلى بيت المقدس حتى نقلك إلى الكعبة؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بدا له عن ذلك فإنه العالم بالعواقب والقادر على المصالح لا يستدرك على نفسه غلطاً ولا يستحدث رأياً بخلاف المتقدم جل عن ذلك، ولا يقع عليه أيضاً مانع يمنعه من مراده، وليس يبدو إلا لمن كان هذا وصفه، وهو عز وجل يتعالى عن هذه الصفات علواً كبيراً.

ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها اليهود أخبروني عن الله أليس يمرض ثم يصح ويصح ثم يمرض أبدا له في ذلك، أليس يحيي ويميت أبدا له في كل واحد من ذلك؟

قالوا: لا.

قال: فكذلك الله تعبد نبيه محمداً بالصلاة إلى الكعبة بعد أن كان تعبده بالصلاة إلى بيت المقدس وما بدا له في الأول.

ثم قال: أليس الله يأتي بالشتاء في أثر الصيف والصيف في أثر الشتاء، أبدا له في كل واحد من ذلك؟

قالوا: لا.

قل: فكذلك لم يبدُ له في القبلة.

قال: ثم قال أليس قد ألزمكم في الشتاء أن تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة، وألزمكم في الصيف أن تحترزوا من الحر، أفبدا له في الصيف حين أمركم بخلاف ما كان أمركم به في الشتاء؟

قالوا: لا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فكذلكم الله تعبدكم في وقت لصلاح يعلمه بشيء ثم تعبدكم في وقت آخر لصلاح يعلمه بشيء آخر فإذا أطعتم الله في الحالتين استحققتم ثوابه، فأنزل الله تعالى ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم﴾. (البقرة:١١٥)

يعني إذا توجهتم بأمره فثم الوجه الذي تقصدون منه الله وتأملون ثوابه.

ثم قال رسول الله: يا عباد الله أنتم كالمرضى والله رب العالمين كالطبيب، فصلاح المرضى فيما يعمله الطبيب ويدبره به لا فيما يشتهيه المريض ويقترحه، ألا فسلموا لله أمره تكونوا من الفائزين».

فقيل: يا بن رسول الله فلم أمر بالقبلة الأولى؟ فقال: «لما قال الله تعالى ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها ﴾ وهي بيت المقدس ﴿ إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾. (البقرة:١٤٣)

إلا لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجد، وذلك إن هوى أهل مكة كان في الكعبة فأراد الله أن يبين متبعي محمد ممن خالفه باتباع القبلة التي كرهها ومحمد يأمر بها، ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها والتوجه إلى الكعبة ليبين من يوافق محمداً فيما يكرهه، فهو مصدقه وموافقه».

ثم قال: ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ إن كان التوجه إلى بيت المقدس في ذلك الوقت لكبيرة إلا على من يهدي الله، فعرف أن لله أن يتعبد بخلاف ما يريده المرء ليبتلي طاعته في مخالفة هواه.

إعداد: صفوان ضياء



إبراهيم بن مالك بن الحارث الأشتر النخعي

من هو إبراهيم؟

قال السيد محسن الأمين في ترجمة إبراهيم بن مالك في كتابه أعيان الشيعة: قتل إبراهيم سنة ٧١هـ، وفي مرآة الجنان ٧٢هـ مع مصعب بن الزبير وهو يحارب عبد الملك بن مروان وقبره قرب سامراء مزور معظم وعليه قبة.

والنخعي بفتحتين نسبة إلى النخع قبيلة باليمن وهم من مذحج ويأتي في إبراهيم بن يزيد النخعي الكلام عليهم بأبسط من هذا.

وكان إبراهيم فارساً شجاعاً شهماً مقداماً رئيساً عالي النفس بعيد الهمة وفياً شاعراً فصيحاً موالياً لأهل البيت عليهم السلام.

كما كان أبوه متميزاً بهذه الصفات ومن يشابه أباً فما ظلم؛ وفي مرآة الجنان كان سيد النخع وفارسها.

وكان مع أبيه يوم صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام وهو غلام وأبلى فيها بلاءً حسناً وبه استعان المختار حين ظهر بالكوفة طالباً بثأر الحسين عليه السلام وبه قامت إمارة المختار وثبتت أركانها وكان مع مصعب بن الزبير وهو يحارب عبد الملك فوفى له حين خذله أهل العراق وقاتل معه حتى قتل وقال مصعب بعد قتله حين رأى خذلان أهل العراق له يا إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم.

حربه يوم صفين

روى نصر بن مزاحم المنقري في كتاب صفين أن معاوية أخرج عمرو بن العاص يوم صفين في خيل من حمير كلاع ويحصب إلى الأشتر فلقيه الأشتر أمام الخيل فلما عرف عمرو أنه الأشتر جبن واستحيا أن يرجع فلما غشيه الأشتر بالرمح راع منه عمرو ورجع راكضا إلى المعسكر ونادى غلام شاب من يحصب يا عمرو عليك العفا ما هبت الصبا يا لحمير أبلغوني اللواء فأخذه وهو يقول:

إن يـك عمـرو قـد عـلاه الأشـتر
بـأسـمـر فـيـه سـنـان أزهـر
فـذاك الله لـعـمـري مفخـر يا
عـمـرو يـكـفيـك الـطـعـان حمير
والـيـحـصـبـي بـالـطـعـان أمـهـر
دون الـلـواء الـيـوم مـوت احمـر

فنادى الأشتر إبراهيم ابنه خذ اللواء فغلام لغلام فتقدم

إبراهيم وهو يقول:

يـا أيـهـا الـسـائـل عـنـي لا تـرع
أقــدم فــإني مـن عـرانـين الـنـخـع
كيـف تـرى طعـن العـراقـي الجـذع
أطــيـر في يــوم الــوغـى ولا أقـع
مـا سـاءكـم سـر ومـا ضـركـم نفـع
أعــددت ذا الـيـوم لـهـول المطلع

وحمل على الحميري فالتقاه الحميري بلوائه ورمحه ولم يبرحا يطعن كل واحد منهما صاحبه حتى سقط الحميري قتيلاً.

خبره مع المختار

كان أصحاب المختار قالوا له: إن أجابنا إلى أمرنا إبراهيم ابن الأشتر رجونا القوة على عدونا فإنه فتى رئيس وابن رجل شريف له عشيرة ذات عز وعدد.

فخرجوا إلى إبراهيم ومعهم الشعبي وسألوه مساعدتهم وذكروا له ما كان أبوه عليه من ولاء علي وأهل بيته فأجابهم إلى الطلب بدم الحسين عليه السلام على أن يولوه الأمر فقالوا له: أنت أهل لذلك ولكن المختار قد جاءنا من قبل محمد ابن الحنفية، فسكت.

ثم جـاءه المختار في جماعة فيهم الشعبي وأبـوه فقال له المختار: هذا كتاب من محمد بن علي، وكان الكتاب مع الشعبي فدفعه إليه فإذا فيه من محمد إلى إبراهيم بن مالك الأشتر إني قد بعثت إليكم وزيري وأميني وأمرته بالطلب بدماء أهل بيتي فانهض معهم بنفسك وعشيرتك ولك أعنة الخيل وكل مصر ومنبر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى الشام.

فقال إبراهيم: قد كتب إلي ابن الحنفية قبل هذا فلم يكتب إلا باسمه واسم أبيه قال المختار: إن ذلك زمان وهذا زمان.

قال: فمن يعلم أن هذا كتابه فشهد جماعة إلا الشعبي فتأخر إبراهيم عن صدر الفراش وأجلس المختار عليه وبايعه فلما خرجوا قال إبراهيم للشعبي: رأيتك لم تشهد أنت ولا أبوك فقال: هـؤلاء سادة القراء ومشيخة المصر ولا يقول مثلهم إلّا حقاً.

استشهاد إبراهيم الأشتر

قال إبراهيم لمصعب بن الزبير إنّه كتب إلى أصحابك كلهم مثل ما كتب إلي فأطعني واضرب أعناقهم، فأبى فقال أحبسهم فأبى وقال: رحم الله الأحنف إن كان ليحذرني غدر أهل العراق ويقول هم كمن تريد كل يوم بعلاً.

وقدم عبد الملك أخاه محمداً وقدم مصعب إبراهيم بن الأشتر، فقتل صاحب لواء محمد وجعل مصعب يمد إبراهيم فأزال محمداً عن موقفه وأمد إبراهيم بعتاب بن ورقاء فساء ذلك إبراهيم وقال: قد قلت له لا تمدني بأمثال هؤلاء فانهزم عتاب وكان قد كاتب عبد الملك وصبر إبراهيم فقاتل حتى قتل وحمل رأسه إلى عبد الملك.

وانهزم أهل العراق عن مصعب حتى قتل وقيل إنه سأل عن الحسين عليه السلام كيف امتنع عن النزول على حكم ابن زياد فأخبر فقال متمثلاً بقول سليمان بن قتة:

فـإنّ الأُولى بالطف من آل هاشم
تـأسـوا فسـنـوا للـكـرام التـأسيـا

وقال يزيد بن الرقاع العاملي أخو عدي بن الرقاع وكان شاعر أهل الشام:

نحن قتلنا ابـن الحــواري مصعباً
أخـا أسـد والمذحـجي اليـمانيا
ومـــرت عـقـاب المـوت مـنـا لمسلم
فـأهـوت لـه طـيرفأصبـح ثـاويا

المذحجي هو ابن الأشتر ومسلم هو ابن عمرو الباهلي وكان على ميسرة إبراهيم بن الأشتر.

وفي الأغاني إنّ إبراهيم بن الأشتر بعث إلى أبي عطاء السندي ببيتين من شعر وسأله أن يضيف إليهما بيتين وهما:

وبـلـدة يـزدهـي الجـنـان طارقها
قطعتها بـكـنـاز الـلـحـم معتاطه
وهنا وقـد حلق النسران أو كربا
وكـانـت الـدلـو بـالجـوزاء حتاطه

فقال أبو عطاء:

فانجاب عنها قميص الليل فابتكرت
تسير كالفحل تحت الكور لطاطه
في أيـنـق كـلـما حـث الحــداة لها
بـدت مناسمها هـوجـاء خطاطه



أصل يوم العذاب في ظلامات فاطمة الزهراء عليها السلام

قال المفضل للإمام الصادق عليه السلام: يا مولاي ما في الدموع من ثواب؟ قال عليه السلام: «ما لا يحصى إذا كان من محق»، فبكى المفضل (بكاءً) طويلاً ويقول: يا بن رسول الله إن يومكم في القصاص لأعظم من يوم محنتكم، فقال له الصادق عليه السلام: «ولا كيوم محنتنا بكربلاء وإن كان يوم السقيفة وإحراق النار على باب أمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة وزينب وأم كلثوم وفضة وقتل محسن بالرفسة أعظم وأدهى وأمر، لأنه أصل يوم العذاب». (الهداية الكبرى:٤١٧).

من منطلق هذه الرواية التي رواها المفضل عن الإمام الصادق عليه السلام، واستناداً إلى كلام الإمام المعصوم الذي هو معصوم الكلام، والذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه، حيث يعتبر كلام الإمام المعصوم من الأدلة الشرعية الأربعة: القرآن الكريم والسنة والعقل والإجماع فهو داخل ضمن السنة النبوية الشريفة، باعتباره يمثل الامتداد الحي لها.

هذه الرواية والتي تروي قصة مظلومية فاطمة الزهراء سلام الله عليها والتي بيّن فيها الإمام الصادق عليه السلام عظم ومرارة مصيبة أهل البيت عليهم السلام عند هجوم القوم على دار أمير المؤمنين سلام الله عليه بأعظم تعبير يجعل المؤمن الباحث عن الحقيقة والعقيدة الصحيحة يقف عندها كثيراً ويدقق فيها طويلاً ليرى لماذا عبّر عنه الإمام عليه السلام بهذا القول العظيم بأنه أصل يوم العذاب.

لا شك ولا ريب أن كلام الإمام الصادق عليه السلام لا يأتي اعتباطاً وعبثاً دون أن تكون هناك مقدمات أولية يقينية عنده بحيث تؤدي بالأمر إلى أن تصل فيه النتيجة النهائية وعلى ضوء هذه المقدمات المهمة أن تكون المظلومية العظمى لأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة وبالخصوص أم أبيها فاطمة الزهراء سلام الله عليها هي الأساس والأصل ليوم الحسرة أو كما عبر عنه الإمام عليه السلام بيوم العذاب.

لذا جاء أصل يوم العذاب في ظلامات فاطمة الزهراء سلام الله عليها باعتبارها قطب الرحى الذي تدور حوله محورية أهل البيت عليهم السلام، فالسؤال الوارد فيما نحن فيه يقتضي أن نفهم أن أصل يوم العذاب هل يقصد به الأساس الذي بني عليه ظلم أهل البيت عليهم السلام من ذلك الحين أو أنه يقتضي - الأصل - معناه يوم القيامة الذي سوف يكون فيه الأساس لعذاب الذين ظلموا أهل البيت عليهم السلام فيكون الجزاء جهنم خالدين فيها أبداً؟

أما الشق الأول الذي يقصد به ويقول إن أصل يوم العذاب هو ذلك اليوم الذي سلبت فيه الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام - يوم السقيفة - وإضرام النار على باب بيت أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام... وقتل محسن بالرفسة، حيث أسس الظلم والعذاب على أهل البيت عليهم السلام ولم يروا الراحة والاطمئنان من يوم ظلم فاطمة إلى واقعة كربلاء وقتل أهل البيت وتشريدهم إلى ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فإن العذاب موجوع والأذى مبثوث لكل

من والاهم واتبعهم من شـيعتهم وعلى هذا الأساس يكون أصل يوم العذاب هو اليوم الذي أسس الظلم على أهل البيت عليهم السلام في هذه الحياة الدنيا.

وهذا القول الذي يقول إن يوم العذاب هو يوم الظلم الذي جرى على أهل بيت النبوة بعيد عن المتفاهم العرفي ولا يساعد عليه الحال لأن هناك فرقاً بين أن تقول يوم الظلم ويوم العذاب لأنه الظلم وارد في الحياة الدنيا أما العذاب فيكون له يوم خاص وكما عبر عنه القرآن يوم التغابن ويوم القيامة.... فلذا الظاهر من خلال الرواية أن يوم العذاب ليس هو يوم الظلم الذي جرى على أهل بيت النبوة عليهم السلام لأن العذاب لا يطلق على هكذا حال وإنما يطلق على يوم القيامة الذي سوف يكون فيه العذاب للظالمين أما ما الذي يصح أن يعبر منه فهذا ما يمكن أن نقول به هو يوم المصائب ويوم المحن والابتلاءات والظلامات إذن يكون هذا القول منتفي في كون يوم العذاب هو اليوم الذي أسس فيه الظلم لأهل بيت النبوة.

وعلى الشق الثاني من معنى الأصل ليوم العذاب يكون معناه أن يوم القيامة سوف يكون فيه العذاب والخزي للذين أخذوا الخلافة من أصحابها الحقيقيين وظلموا الزهراء عليها السلام وأضرموا النار على بيت أمير المؤمنين وقتلوا المحسن ابن علي عليه السلام بالرفسة، فتكون هذه الظلامات هي الأساس والأصل ليوم العذاب في نار جهنم للذين فعلوا ذلك الظلم العظيم وكما عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. (الشورى:٢١)

وعليه الذي على ما أحتمله أن الصحيح عندي هو المعنى الوارد في تفسير الأصل ليوم العذاب يعني أن أساس يوم العذاب في القيامة سوف يكون بسبب هذا الظلامات من ظلامة يوم السقيفة وإحراق النار وقتل محسن بالرفسة وغير ذلك من الظلامات ذلك لأن هناك عدة أدلة وشواهد تثبت هذه المسألة وأيضاً نفهم هذا من خلال عدة روايات شريفة وشواهد تاريخية بينت هذه المسألة، وهناك قرينة في المقام تثبت هذا المعنى وهي الرواية نفسها حيث نستفيد منها أن المفضل يسأل الإمام عليه السلام ويقول إن يومكم في القصاص لأعظم من يوم محنتكم... حيث عبر عن يوم القيامة بيوم القصاص الذي سوف تكون فيه جهنم عذاباً للظالمين.

وإضافة إلى ذلك قال المفضل إنّ يوم محنتكم وهذا يدل على أن هناك فرقاً بين أن نقول يوم العذاب ويوم المحنة.. وأيضاً هناك قرينة متصلة في الرواية الشريفة نفسها حيث توجد تكملة لهذه الرواية التي يرويها المفضل حيث يقول: ويأتي محسن مخضباً محمولاً تحمله خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين علي عليه السلام وهما جدتاه... وفاطمة تبكي وتصيح وتقول: هذا يومكم الذي كنتم توعدون... فيأخذ رسول الله محسناً على يديه رافعاً له إلى السماء وهو يقول: إلهي وسيدي صبرنا في الدنيا احتساباً وهذا اليوم الذي تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً.

فعلى أساس هاتين القرينتين نحتمل احتمالاً قوياً أن أصل يوم العذاب المقصود به هو يوم القيامة الذي سوف يكون فيه نار جهنم للظالمين أشد عذاباً وأكبر تنكيلاً.

وربما يرد علينا في ما نحن فيه إشكال وهو إذا كانت ظلامات أهل البيت عليهم السلام من السقيفة وإحراق بيت فاطمة وقتل محسن... الخ هو الأساس وأصل يوم العذاب في القيامة فماذا تقول في الذين كانوا قبل هذه الظلامات وقبل زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - أي الأمم الأخرى - فإنهم ما كانوا يعلمون ذلك فكيف توجه هذه المسألة؟

نقول: إنه لا ضير في ذلك ولا يقدح فيما نحن فيه ذلك لكون عندنا رواية تقول أنّها - أي الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام - كانت مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة.

فإذا كان هكذا حالها فبالنتيجة تكون الحجة على جميع من خلق الله تعالى وخصوصاً أنه ما تكاملت نبوة نبي من الأنبياء حتى أقر بفضلها ومحبتها وهي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى - أي المتقدمة على هذا الزمان - وعليه لو كان الأنبياء والمؤمنون قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حاضرين في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لكانوا قسمين إما راضون بما فعل القوم من الظلم بحق فاطمة وبعلها وبنيها وإما لم يكونوا راضين.

فإن كانوا راضين كانت لهم جهنم مقراً ومقاماً وإن لم يكونوا راضين بظلمها كانت لهم الجنة دار سرور ونعيم وعلى هذا الأساس يتضح كيف يكون ظلم أهل البيت وخصوصاً الصديقة الشهيدة فاطمة عليها السلام الأساس ليوم العذاب هذا من جهة.

ومن جهة أخرى نحن نعلم أن هناك أحاديث وردت على لسان أهل بيت العصمة مفادها أنّ الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها فمن كانت فاطمة راضية عنه رضي عنه الله تبارك وتعالى ولا شك ولا ريب ولا شك أن رضا الله يرضاه الأنبياء والمؤمنون السابقون على زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيكونوا عندئذ راضين عمن رضيت عنه فاطمة وغاضبين على من غضبت عليه لأنها مظهر رضا الله تعالى وغضبه وعليه يكون الأصل ثابت.

بقلم: الشيخ محمد فاضل المسعودي



سيادة أهل الجنة

من الأحاديث المرويّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله والثابتة عنه لدى المسلمين في فضل الإمامين السبطين الطاهرين، الحسن والحسين عليهما السلام، هو قوله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة». (صحيفة الإمام الرضا:٦٣)

الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة

وقد رواه من أهل السنة علماء ومحدّثون لا يحصى عددهم كثرةً.

فقد أخرج الترمذي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة».(سنن الترمذي:٥/٤٢٦)

وأخرج ابن ماجة عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما».(سنن ابن ماجة:١/١٣٤)

وأخرج أحمد بن حنبل عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم: «ملك من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة، فاستأذن ربّه أن يسلّم عليّ ويبشّرني أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة».(مسند أحمد:٦/٥٤٢)

وأخرج الحاكم بسنده عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم أنه قال: «أتاني جبرئيل عليه الصلاة والسلام فقال: إنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة»، ثم قال لي رسول الله: «غفر الله لك ولأمك يا حذيفة».(مستدرك الصحيحين:٣/٤٢٩) وصححه الذهبي في تلخيصه.

ومن رواته أيضاً: (ابن حبان في موارد الظمآن، والنسائي في خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، والخطيب البغدادي في تاريخه، وأبو نعيم في حلية الأولياء، وابن حجر في الإصابة، وابن الأثير وأسد الغابة)؛ وذكره الزركشي في التذكرة في

الأحاديث المشتهرة، والسيوطي في الدرر المنتثرة، والسخاوي في المقاصد الحسنة؛ بل أورده الزبيدي في لقط اللآلي المتناثرة في الأحايدث المتواترة.

قلب الحديث

هذا هو الحديث كما في كتب القوم مصرّحين بصحته، فَقَلَبَهُ بعض الكذّابين إلى لفظ: (أبو بكر وعمر سيّدا كهول أهل الجنة).

١. قال الترمذي: (عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم لأبي بكر وعمر: «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي»، قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه).

٢. عن الوليد بن محمد الموقري، (عن الزهري، عن علي ابن الحسين، عن علي بن أبي طالب، قال: «كنت مع رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم إذ طلع أبو بكر وعمر، فقال رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم: «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين؛ يا علي لا تخبرهما».

قال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، والوليد بن محمد الموقري يضعّف في الحديث، ولم يسمع علي بن الحسين من علي بن أبي طالب؛ وقد روي هذا الحديث عن علي من غير هذا الوجه؛ وفي الباب عن أنس وابن عباس).

٣. عن يعقوب بن إبراهيم الدروقي... عن الحارث، عن علي عن النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم قال: «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين؛ لا تخبرهما يا علي». (سنن الترمذي:٥/٣٧٥–٣٧٦)

وقال ابن ماجة: (حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا سفيان.... عن الحارث، عن علي، قال رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم: «أبو بكر وعمر سيّدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلاّ النبيين والمرسلين؛ لا تخبرهما يا علي ما داما حيّين». (سنن ابن ماكة:١/١١٥)

وقال ابن ماجة: (حدثنا أبو شعيب صالح بن الهيثم الواسطي.... عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم: «أبو بكر وعمر سيّدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين». (سنن ابن ماجة:١/١١٩)

وقال عبد الله بن أحمد: (حدثني وهب بن بقية الواسطي.... عن الحسن بن زيد بن حسن.... عن علي رضي الله عنه، قال: «كنت عند النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم فأقبل أبو بكر وعمر، فقال: يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين». (مسند أحمد:١/١٢٩)

نظرة في سنده

قد ذكرنا أهم أسانيد هذا الحديث في أهم كتب أهل العامة، فالترمذي يرويه بسنده عن أنس بن مالك، وابن ماجة وعبد الله بن أحمد يروونه عن أمير المؤمنين عليه السلام، وابن ماجة يرويه عن أبي جحيفة، وربما روي في خارج الصحاح عن بعض الصحابة لكن بأسانيد اعترفوا بعدم اعتبارها. (مجمع الزوائد:٩–٤٠)

وأول ما في هذا الحديث إعراض البخاري ومسلم عنه، فإنهما لم يخرجاه في كتابيهما، وقد تقرّر عند كثير من العلماء ردّ ما اتفقا على تركه، بل إنّ أحمد بن حنبل لم يخرجه في مسنده أيضاً، وإنما أورده ابنه عبد الله في زوائده. (مسند أحمد:٦/٧٠)

وقد خصّ أحمد على أنّ ما ليس في المسند فليس بحجة حيث قال في وصف كتابه: (إن هذا الكتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً، فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم فارجعوا إليه، فإن كان فيه وإلا ليس بحجّة). (طبقات الشافعية:٢/٣١)

ثم إنه بجميع طرقه المذكورة ساقط عن الاعتبار.

الحديث عن علي بن الحسين عليهما السلام

فقد رواه عنه الترمذي بطريقين، وعبد الله بن أحمد بطريقٍ ثالث.

الطريق الأول

فقد نبّه على ضعفه الترمذي أولاً: بأنّ علي بن الحسين لم يسمع من علي بن أبي طالب، والواسطة بينهما غير مذكور، وهذا قادح على مذهب أهل السنة.

وثانياً: بأن الوليد بن محمد الموقري يضعّف في الحديث. وقال ابن المديني: ضعيف لا يكتب حديثه. وقال الجوزجاني: كان غير ثقة، يروي عن الزهري عدة أحاديث ليس لها أصول. وقال أبو زرعة الرازي: ليّن الحديث. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث. وقال النسائي: ليس بثقة، منكر الحديث. وقال مرة: متروك الحديث. وقال ابن خزيمة: لا يحتج به. وقال ابن حبان: روى عن الزهري أشياء موضوعة. وقال أبو داود: ضعيف. بل قال ابن معين – في رواية عنه –: كذّاب. وكذا قال غيره. (تهذيب التهذيب:١١/١٣١)

نقول

الشواهد دالة على أن الزهري هو ضعيف الحديث وممن كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد روى أحاديث كاذبة عن لسان النبي صلى الله عليه وآله، وهذه من سياسات بني أمية التي كانت تحثّ على الانتقاص من فضائل أهل البيت عليهم السلام في قبال رفع شأن أبي بكر وعمر.

الطريق الثاني

هو عن الشعبي عن الحارث عن علي عند الترمذي وكذا عند ابن ماجة. الحارث، وهو (الحارث بن عبد الله الأعور) بعض الكلمات فيه: قال أبو زرعة: لا يحتجّ بحديثه. وقال أبو حاتم: ليس بقوي ولا ممن يحتج بحديثه؛ وقال النسائي: ليس بالقوي؛ وقال الدارقطني: ضعيف؛ وقال ابن عدي: عامة ما رويه غير محفوظ؛ بل وصفه غير واحد منهم بالكذاب! بل عن الشعبي - الراوي عنه -: كان كذّاباً!! وقد وقع هذا عندهم موقع الإشكال! كيف يكذّبه ثم يروي عنه؟! إن هذا يوجب القدح في الشعبي نفسه! فقيل: إنه كان يكذّب حكاياته لا في الحديث؛ وإنما نقم عليه إفراطه في حب علي!(تهذيب التهذيب:١٣٤/٢)

نقول

إن كان كذلك، فقد ثبت القدح للشعبي، إذ الإفراط في حب علي لا يوجب القدح ولا يجوز وصفه بالكذب، ومن هنا ترى أن غير واحد ينصّ على وثاقة الحارث.

هذا، ولا حاجة إلى النظر في حال رجال السندين إلى الشعبي، وإلا فإن (الحسن بن عمارة) عند ابن ماجة: قال الطيالسي: (قال شعبة: ائت جرير بن حازم فقل له: لا يحلّ لك أن تروي عن الحسن بن عمارة فإنه يكذب؛ وقال ابن المبارك: جرحه عندي شعبة وسفيان، فبقولهما تركت حديثه؛ وقال أبو بكر المروزي عن أحمد: متروك الحديث؛ وقال ابن معين: لا يكتب حديثه؛ وقال مرة: ليس حديثه بشيء؛ وقال عبد الله بن المديني عن أبيه: كان يضع؛ وقال أبو حاتم ومسلم والنسائي والدارقطني: متروك الحديث؛ وقال النسائي: ليس بثقة ولا يكتب حديثه؛ وقال الساجي: ضعيف متروك، أجمع أهل الحديث على ترك حديثه؛ وقال الجوزاني: ساقط؛ وقال جزرة: لا يكتب حديثه؛ وقال ابن المبارك عن ابن عيينة: كنت إذا سمعت الحسن بن عمارة يحدث عن الزهري جعلت اصبعي في أذني؛ وقال ابن سعد: كان ضعيفاً في الحديث؛ وقال يعقوب ابن شيبة: متروك الحديث وقال ابن حبان، كان بلية الحسن التدليس عن الثقات ما وضع عليهم الضعفاء؛ وقال السهيلي: ضعيف بإجماع منهم.(تهذيب التهذيب:٢٧٧/٢)

نقول

حلا هذا الرجل الذي روى عنه ابن ماجة! وروى عنه سفيان مع علمه بهذه الحال! وإذا كان سفيان جارحاً له فكيف يروي عنه؟! ألا يوجب ذلك القدح في سفيان كذلك وسقوط جميع رواياته عنه؟! وهذا الحديث من ذلك!

الطريق الثالث

فهو رواية عبد الله، وفيه:

أولاً: إنه مما أعرض عنه أحمد بناء على ما تقدم.

ثانياً: إن فيه الحسن بن زيد.... قال ابن معين: ضعيف؛ وقال ابن عدي: أحاديثه عن أبيه أنكر مما روى عن عكرمة. (تهذيب التهذيب:٢٥٦/٢)

نقول

وهذا الحديث كالحديث السابق!

وثالثاً: إنّ لفظه يشتمل على (وشبابها) وهذا يختصّ بهذا السند وهو كذب قطعاً.

الطريق الرابع الحديث عن أنس

فهو الذي أخرجه الترمذي، وفيه: (قتادة) وكان مدلّساً، يرمى بالقدر، رأساً في بدعة يدعو إليها، حاطب ليل، حدّث عن ثلاثين رجلاً لم يسمع منهم إلى غير ذلك مما قيل فيه. (تهذيب التهذيب:٣٠٧/٨)

و(أنس بن مالك) نفسه لا يجوز عندنا الاعتماد عليه، لاسيما في مثل هذا الحديث، فقد ثبت كذبه في حديث الطائر المشويّ وكتمه للشهادة بالحقّ حتى دعا عليه علي عليه السلام، وهو مع الحق.(الغدير:٣٨٧/١)

الطريق الخامس حديث أبي جحيفة

فهو الذي أخرجه ابن ماجة، وفيه: (عبد القدوس بن بكر ابن خنيس) قال ابن حجر: (ذكر محمود بن غيلان عن أحمد وابن معين وأبي خيثمة أنهم ضربوا على حديثه).(تهذيب التهذيب:٣٢٤/٦)

تعقيب على ما قلنا

إنه لا يخفى اختلاف لفظ آخر الحديث عن علي، ففي لفظ: «لا تخبرهما يا علي» وفي آخر: «لا تخبرهما يا علي ما داما حيين» وفي ثالث لم يذكر هذا الذيل أصلاً!

أما في الحديث عن أنس فلا يوجد أصلاً....

ولماذا نهى علياً من أن يخبرهما؟! ولماذا لم ينه أنس عن ذلك، بل بالعكس أمره بأن يبشّرهما.

لم أجد فيما بيدي من المصادر لذلك وجهاً إلا عند ابن العربي المالكي فإنه قال: (قال ذلك لعلي ليقرر عند تقدمهما عليه!!) وأنه (نهاه أن يخبرهما لئلا يعلما قرب موتهما في حال كهوله!!).(عارضة الأحوذي:١٣٢/١٣)

نقول

وهل كان يحتاج علي إلى الإقرار إن كان تقدمهما عليه بحقّ؟!

وهل كان يضرّهما العلم بقرب موتهما في حال الكهولة؟!

وهل كانا يخافان الموت؟! ولماذا؟!

بقلم: السيد علي الميلاني



طاعتنا نظاماً للملة وإمامتنا أماناً من الفرقة

جاء في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام: «طاعتنا نظاماً للملة وإمامتنا أمانا من الفرقة».

كيف نثبت هذه المسألة؟ أو كيف يمكن طرحها على الآخرين؟

قبل الدخول في الجواب، لا بد من التذكير بأن موضوع السؤال ينطلق من عبارتين من الخطبة المعروفة بالخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام بنت النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وهذه الخطبة ألقتها عندما وصل إليها خبر تصميم الخليفة الأول على استرجاع فدك منها. (بلاغات النساء:٢٣-٣١)

وهذه الخطبة مروية في المصادر الروائية والتاريخية للشيعة والسنّة بأسناد متعددة ولكن بقليل من الاختلاف في النص. (الاحتجاج:١/٩٧)

فالسيدة الزهراء عليها السلام في هذه الخطبة وبعد الحمد والثناء وبيان النعم الإلهية تعرضت لفلسفة الخلق وكذلك فلسفة الأحكام الشرعية الإلهية حيث قالت:

١. «وطاعتنا نظاماً للملة». (الاحتجاج:١/٩٩)

فهذه الجملة والجملة التي بعدها عطف على عبارة «فجعل الله الإيمان....» التي وردت في هذه الخطبة.

فيكون المعنى أن الله سبحانه و تعالى جعل طاعتنا سبباً للنظم في الدين الإسلامي.

ومن الواضح الذي لا غبار عليه أن طاعة أهل البيت عليهم السلام سبب لنظم الدين، وذلك لأن هذه الطاعة تجمع كل أفرادها حول محور الدين وهذا المحور يبينه الإمام الذي هو الأعلم والأتقى والجامع لكل الكمالات.

ولا ريب أنّ أهل البيت عليهم السلام هم أكثر الناس علماً بحقائق القرآن وأكثرهم إطلاعاً بها، لأن علمهم متصل بمبدأ الوحي فمن الطبيعي يحصل الانسجام والتوحيد في المسائل الدينية بحكم طاعتهم.

٢. «وإمامتنا أماناً من الفرقة (للفرقة).

فقد طرحت السيدة الزهراء عليها السلام هنا مسألة الإمامة وتعني بذلك تنبيه الخليفة والناس بأن الإمامة وخلافة النبي محمد صلى الله عليه وآله هي من شؤونهم، وقد أعطاها الله سبحانه لهم للحد من فرقة الناس ولجمعهم حول محور واحد.

وبتعبير آخر، إن الله جعل الإمامة، لكي لا تفترق الأمة الإسلامية ولكي لا يذهب كل إلى جهة، وجعلها محوراً يقرّه العقل.

فلو كان لشخص الرجحان على باقي البشر في كل النواحي، العلمية والتقوائية وفي التدبير والعدالة وفي ارتباطه بالله سبحانه وغير ذلك، فمن الطبيعي يتحتم على الجميع الالتفاف حوله، عندها لا تحصل أي فرقة ولا تشتت؛ و هذا الكلام مستلهم من حديث الثقلين. (صحيح البخاري:ح١١٠٩٧)

وقد ذكرته السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها الفدكية؛ فعندما يقول النبي صلى الله عليه وآله، إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً.

فهاتان العبارتان في الحقيقة بيان لمضمون واحد وهو أن نظام الدين الإسلامي وبقاءه وصيانته من التفرقة والتشتت، لا يكون إلا في ظل قيادة أهل البيت عليه السلام.

ومما يجدر قوله إن بعض المحققين فسّر (الملة) هنا (بالأمة) ولا منافاة بين هذا المعنى والمعنى الذي بيّناه. (شرح خطبة الزهراء للزنجاني:٣٦٥)

ومن البديهي أن لكل مجتمع قطب فكر لنظامه وبقائه، ولا يكون هذا القطب إلا على رأس الهرم ليمكنه جذب كل الأفكار والآراء إليه وليملأ ويسدّ الفراغ الموجود من هذه الناحية، وعندها لا تبقى أرضية لأي اختلاف.

إن الشريعة الإسلامية والمجتمع الإسلامي أيضاً يتطلبان اتباع أهل البيت عليهم السلام وطاعتهم لحفظهما من كل اختلاف وتفرقة في جميع الأبعاد، لأنهم وباتصالهم بالمصدر الحيوي وبعالم الغيب، يؤمّنون الرشد الفكري للبشرية في جميع الجهات، بدءاً من الإقتصاد ومروراً بالحقوق والأحكام وانتهاءً بالسياسة ونظم الأمر.

أفقي

١. السفير الأول للإمام المهدي عليه السلام.

٦. من صفات نبي الله موسى عليه السلام.

٨ لُقِّبَ بشيخ الطائفة.

١٢. السورة التي تنتهي بلفظ الجلالة.

١٣. من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام استشهد في كربلاء.

١٤. سورة من القرآن الكريم ورد في جميع آياتها لفظ الجلالة.

١٥. من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

١٦. وزير الإمام الحسين عليه السلام.

عمودي

٢. المعصوم الثامن.

٣. أول ما خلق الله.

٤. أم النبي في الرضاعة.

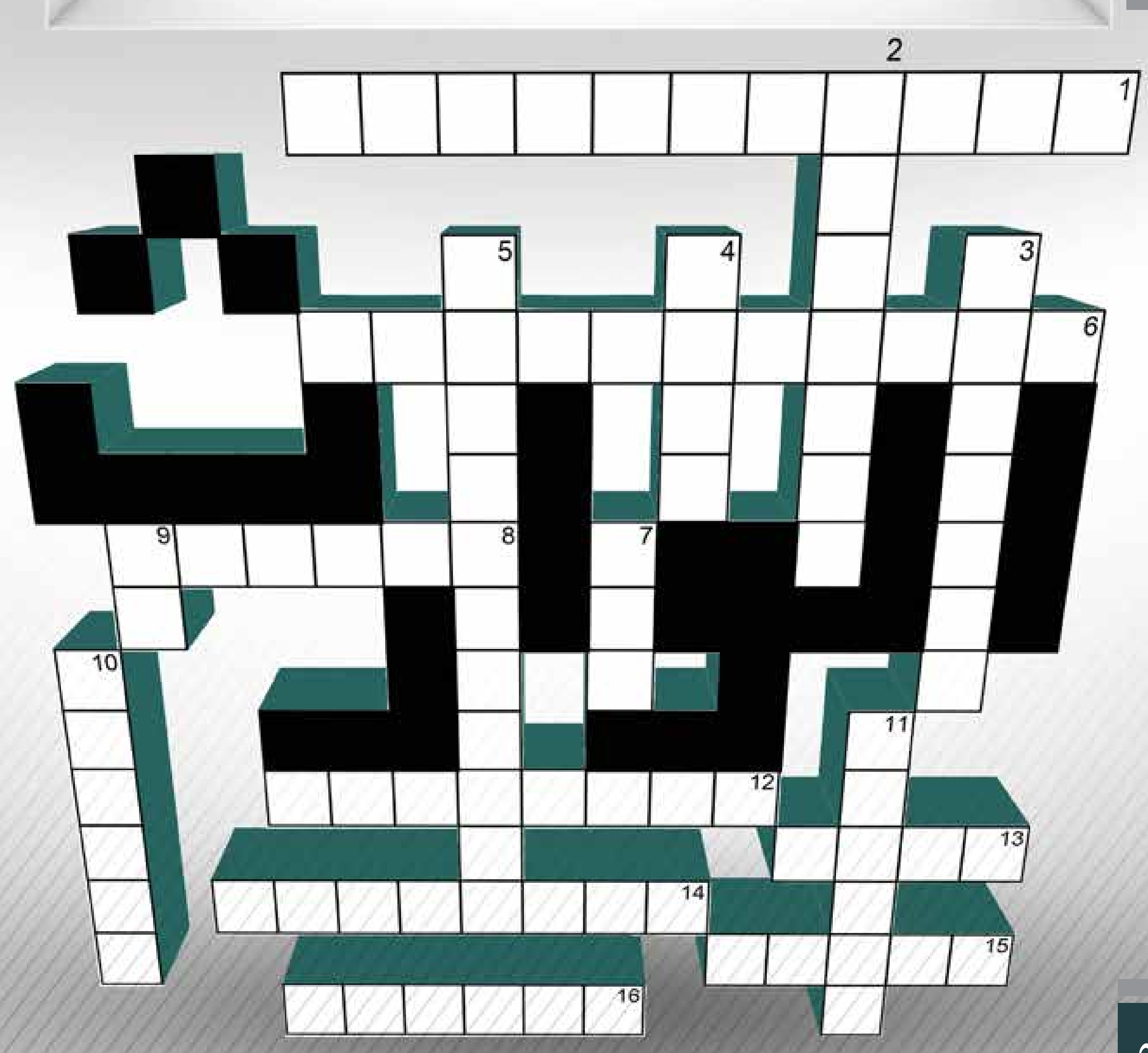
٥. من أفضل الأعمال.

٧. من أولاد علي بن أبي طالب عليه السلام.

٩. السورة التي يطلق عليها قلب القرآن.

١٠. السورة التي يطلق عليها عروس القرآن.

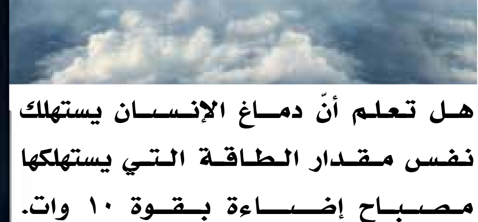
١١. ترعة من ترع الجنة.



هل تعلم؟



هـل تـعـلـم أنّ طــول بـعـض الـســحـب يـصـل إلى ١٦ كـم.



هـل تـعلـم أنّ دمــاغ الإنــســان يستهلك نفس مـقـدار الـطـاقـة الـتـي يستهلكها مـصـبـاح إضــاءة بـقـوة ١٠ واط.

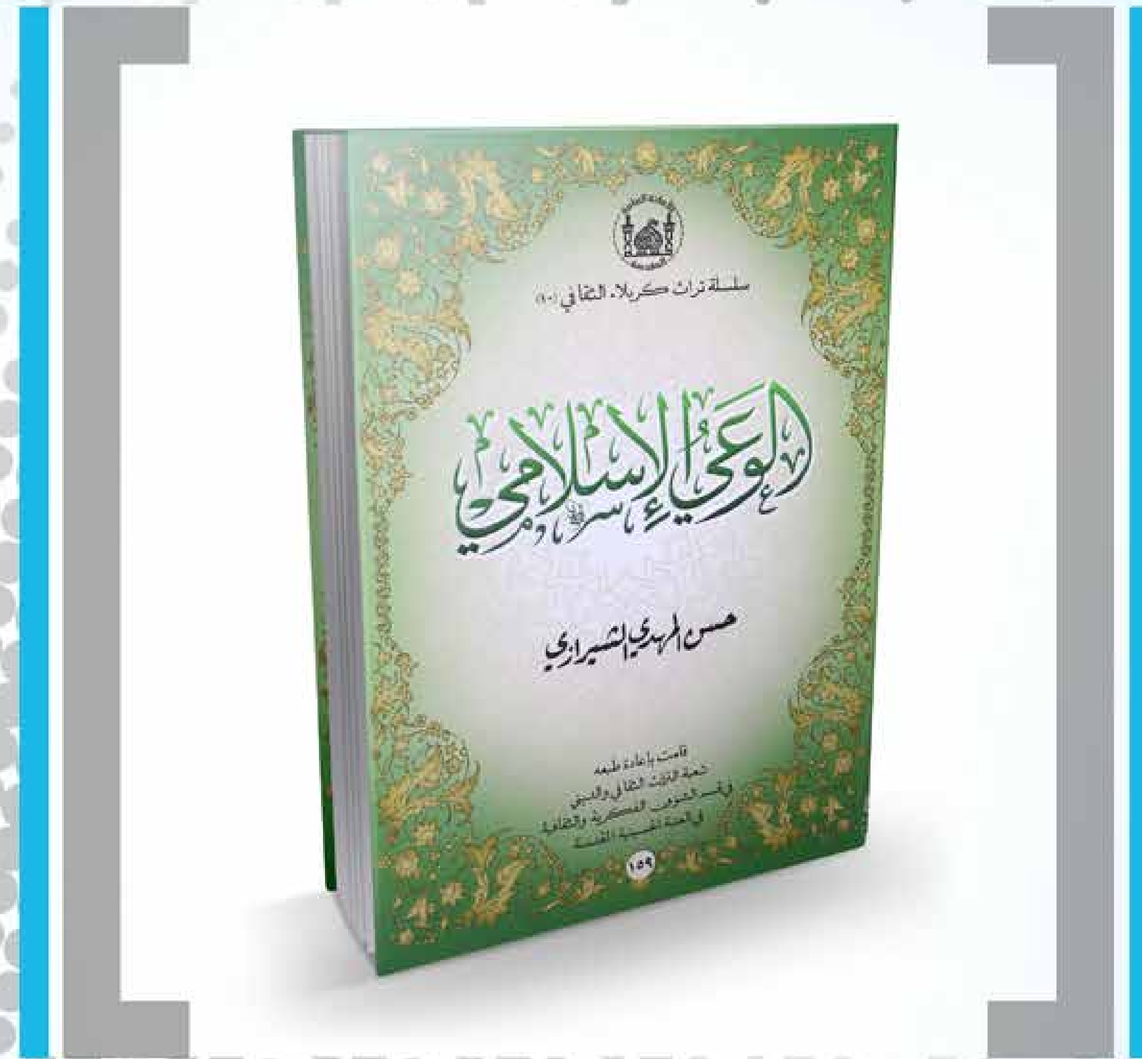


هـل تعلـم أنّ إفـراز المـادة الشـمعية يزيـد في الأذن عنـد الشـعور بالخـوف.



هـل تعلـم أنّ الشمـس بالإضافـة الى الضـوء والحـرارة فإنهـا تطلـق أنواعـاً أخـرى مـن الإشـعاعات، مثل الأشـعة فوق البنفسـجية والأشعة السـينية، بالإضافة إلى الأمـواج الراديوية التي ترتبط بتكون البقـع الشمسـية كل ١١ سـنة تقريبـاً.

صدر حديثاً عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبــــــة الحسينـــــية المقدســــــة





تعلن إدارة مجلة الوارث عن البدء في استقبال البحوث والمقالات العلمية والإسلامية لنشرها ضمن أعداد المجلة القادمة، علماً أن المقالات ستخضع للتقييم العلمي.

يرجى إرسال الأعمال على البريد الألكتروني التالي:

info@imamhussain-lib.org